المواطن

يومية وطنية مستقلة

الحق في الإعلام من الحق في الحياة

الأربعاء 08 جويلية 2020 م الموافق لـ 16 ذو القعدة 1441 هـ العدد 5058 10 دج

www.almouwatan.com elmouatan@gmail.com

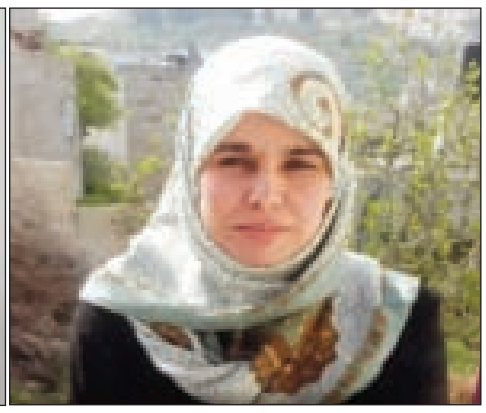

البطل نائل البرغوثي

أكثر من أربعين عاما خلف القضبان (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا)

شجرات الأسير نائل البرغوثي

■■ بقلم :عيسى قراقع

المكان:بحور سجون احتلالية، أشباح تضيء في تجاعيد ذلك التراب، تمتزج العودة بالرحيل، وتختلط الأجساد بالحنين، الزنازين بالوقت المسلح يتربص على نوافذ القلب، يذوب الكلام في هذا الزمن محتفلا بالموت. هو الأسير نائل البرغوثي، أقدم الاسرى الذين قضوا من أعمارهم سنوات في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وعلى مدار خمسة وثلاثين عاما في رحلة المؤبدات المجهولة والتي لم يقضها أسير في العالم، ظل قابضا على الحلم، واقفا على قدميه، وجهه إلى الأمام، لا يرى سوى الشمس. أعادت سلطات الاحتلال اعتقاله مرة أخرى وضمن حملة الاعتقالات التي طالت الاسرى المحررين في صفقة شاليط والبالغ عددهم 85 أسيرا محررا، ووفق سياسة انتقامية رسمية من الشعب الفلسطيني ومن الاسرى في سجون الاحتلال، عاد إلى نفس غرفته السابقة، إلى برشه وظلاله وخربشاته، والى أشلاء روحه، السجان هو السجان، القيد هو القيد، الباب وصدأ المفاتيح، وأنفاس مخنوقة معلقة بين جدار وجدار. عامان قضاهما نائل بعد الافراج، تزوج وتألق عريسا في شوارع رام الله، حمله الشباب عاليا فوق الأكتاف، في زفة كونية شارك فيها الغيم والطير والبرق والحب وهدوء السماء. طار نائل فوق صوت مدينة رام الله التي سقفها الفرح والسحاب، أعلى من برج المراقبة ومنظار السجان، اعلى من حواجز ومستوطنات وأسلاك تمتد من معبر قلنديا حتى سجن عوفر العسكري، كان وسيما وجميلا وفي وجهه يزدحم الضباب. الحياة أقوى من السجن والموت، قالها نائل وهو يزرع مائة شجرة برتقال وليمون وكرز وزيتون ومشمش وتين في حديقة بيته في قرية كوبر، الأرض تشفي المعذبين من غيابهم، والأرض تشفي الضحايا مما أصاب أرواحهم من اضطهاد وحرمان على يد المحتلين والجلادين، وارض نائل فاضت به، وفاض بها، أعطته كل المعاني، وكان جديرا على إطفاء العطش، وجديرا على النظر في بصر التراب وهو يسرج أكثر إحمرارا وإشعاعا. بعد اربعين عاما داخل السجن لازال نائل يحتفل في كل سنة بذكرى زواجه، وقد كان يحلم إما بطفل أو بشجرة، تعثر وصول الطفل، ولكن الشجرة جاءت و كبرت وحملت ثمارها وأسماءها وما في بطنها من مواليد وأقمار، وسألت أين نائل و فأسه وعرقه وأنفاسه؟ أين يداه وبيارقه؟ أين حبه الممزوج بالماء والنار والكلمات الخصيبة؟ لم يخبرها احد أن نائل في السجن يجدد اعتاقه مرة أخرى، ويزرع في الغيب أشجاره القادمات المتدليات غصونها في كل نافذة وزنزانة خضراء خضراء. نائل البرغوثي تعود أن يظل منفيا في الحرية، يتنقل من اشتباك إلى اشتباك، منشغلا بالعصيان على المألوف، يحمل الماء وجرات الزيت المعتقة، يسقي مائة شجرة، يجلس أمامها حتى تتفتح البراعم، ويرى بأم عينه جناحا حجر يرفرف شيئا يمتزج بغير عناصره في ذاكرة ليست إلا وجع المكان. يعود نائل إلى السجن ويتركنا، حديقة بلا صاحب يطل عليها في ساعات الفجر، بلد لا يسمع فيها سوى صوت الموت والاعتقالات والقمع والبطش، واستغاثات الصلوات والآيات في القدس، ولكنه يعلو طائرا، لا شيء يصرعه، ولا شيء يوقفه عن أحتضان المسافات بين هنا وهناك. يحتفل نائل بعيد زواجه في السجن، تولد قيود لأعناق الضوء، آلاف الأطفال من القدس يصلون السجون، حكايات تتنفس بين الحديد والظلمات، مرضى وإداريون ونواب وكبار في السن ونساء، تزدحم المعسكرات، وتشهق دولة إسرائيل بكل ما فيها من قتل وسفك وحشر وأسلاك، زفيرها ساخن بنا، حلقها يضيق بنا، لا تستطيع لفظنا، ولا تقدر أن تحتوينا، تختنق الدولة العبرية باحتلالها وبجشعها وبفتاويها، تغلق الباب، وتترك نائل البرغوثي يرتب أشجاره كيفما يشاء.

تحت قدميه
يرن جرس العالم
الأذان في الأقصى
الترانيم في القيامة
الشجرات أخوات التراب
قلبه حديقة
جسده غابة
تفيض بالماء

الإفتتاحية

بطولة الصحافة و صحافة البطولة

■■ بقلم: لينا أبو بكر

صَدَّقَ الختيارُ الشهيدُ حكمةَ الشّهداء : (الرجال تعرف الرجال ، والخيال تعرف فرسانها) ، ولذلك أوصى شعبه : (كلما ضاقت عليكم الدنيا ، اذهبوا إلى الجزائر) ،وقد صَدَقَ إذْ صَدّق، فها هي الجزائر تأتي بفلسطين إليها من أبعد نقطة وأقصى عتمة في هذا الكوكب : السجون ،عبر بطولة صحافية، تتخصص بصحافة البطولة ،وثورة المليون أسير ، بعيدا عن موضة الأخبار المقتضبة، أو الأشرطة العاجلة التي تمتص الحدث لكي تبخره..تستهلكه كوجبة سريعة تجرد المهنة من سياقها البطولي والتوثيقي ،وتَبْتُر نفَسَها التاريخي بفقاعات أو رؤوس أقلام ،تنفقئ قبل أن تعلق بالذاكرة . تفرد الجزائر ملحقا شهريا ، لتناول قضايا الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال ، فتضم في أعدادها تقارير صحافية تحيط بالشأن القانوني والإنساني والصحي وتبعاته على منظومة القيم والاعتبارات الإيثولوجية،وما لها من تداعيات على المشهد الوطني ،والمسيرة النضالية في فلسطين ، التي تتبلور سرديا أكثر من أي وقت مضى – ربما في مهمة إنقاذ أو عملية تطور تلقائية ، تتأمل لتبدع متجاوزة آلية النقل ،تتماهى معها ثورة صحافية جزائرية ، تحشد الأقلام والأفكار ، بتجييش الوعي ، وضخ شهية الكتابة لدى أقرباء الأسرى أو النخب السياسية والأدبية، من أجل خلق قوة دافعة ، تعد العدة للمستقبل بما تدخره من ذاكرة تسجيلية و تعبيرية قوامها التدوين ،تقويضا لثقافة المحو والتزييف المنهجي الذي يمارسه الصهاينة عامدين لإخفاء معالم الجريمة،وراء الوراء.أية بطولة صحافية هذه التي تخترق جزر الشيطان وأرض الظلام وباستيلات الطغيان ،تمد جسورا من التواصل مع أصحاب الحق ، تشحذهم بالقوة وتعزز فيهم طاقة التفاعل ، وأسباب الأمل عبر رسائل ضمنية من مليون ونصف كوكبا ونجما ثاقبا في أبدية السماء ؟

إنه الانحياز النزيه للحرية والحق، ممثلا بالجهد الوطني والإعلامي العظيم لجريدة "المواطن" وفريق من الجنود المجندة، الذين أصدروا هذا الملحق الخاص بالأسرى القدامى ، وتحديدا أقدم أسير في العالم : البطل نائل البرغوثي الذي قضى أكثر من أربعين عاما خلف القضبان وما بدل تبديلا ، بالإضافة إلى ملحق سابق خصص لأقدم أسير في هذا الكوكب :كريم يونس ،الذي قضى ما يقارب ال38 عاما في الزنازين ، وستفرد " المواطن " تباعا سلسلة من الملاحق الشهرية ، للإحاطة بكل الأبطال المخضرمين بما يشبه الثورة الصحافية على ثقافة النسيان ، و التقادم لإنعاش الحق وإعادة ما تم طيه إلى الواجهة ، والالتزام بمساحة يومية منتظمة تواكب كل ما يتعلق بالأسرى و عائلاتهم .

ونحن إذ نرفع كوفياتنا عاليا لصحيفة المواطن وكل وسائل الإعلام والصحافة الجزائرية ، نقف جنبا إلى جنب مع الشعب الجزائري البطل في فرحته باستقبال شهدائه ، الذين ينتصرون ولو بعد حين ، يصلون إلى مثواهم الأم ، بكامل طزاجتهم ، وعنفوانهم و خلودهم ، فمرحبا بالشهداء ، جنود الخلد وضيوف السماء .

elmouatan@Gmail.com
المواطن

اعجبت ببطل على الورق

نائل في عيني

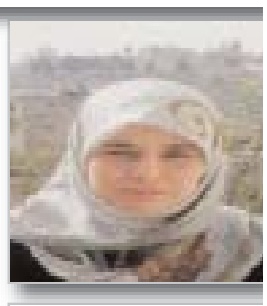

■■ بقلم : الأسيرة المحررة
إيمان نافع البرغوثي - زوجة الأسير نائل

ما زلت انتظره وكأنه مكتوباً عليا الانتظار .. فقد انتظرته سنوات وهو في الأسر الأول والآن انتظر وما أجمل وأصعب انتظار الأمل انه سيخرج ونعيش ونفرح، ونزرع ونسير في الجبال كما عشنا 32 شهراً من عمرنا. حكايتي مع نائل بدأت عقب خروجي من المعتقل عام 1997، وقد أمضيت عشرة أعوام داخل سجون الاحتلال، عندما أرسل أهله لخطبتي، و كان من ضمن عديد الأسرى الذين بعثوا في طلب يدي، ولم أكلف نفسي وقتها الجهد اللازم للتعرف عليه وقتها. عشت حياتي بعد خروجي من الأسر، وذكريات السجن ومعاناة العشر سنوات، وكي أنسى قسوة هذه الليالي، وقد دخلت السجون في العام 1987 متهمة التخطيط للقيام بعمل مسلح، حتى تحررت عام 1997، وعاهدت نفسي أن أعمل لأجل من بقي داخل سجون الاحتلال من الأسرى. تزوجت في العام 1998 من مواطن غير فلسطيني، ولا يحمل الهوية عشنا معاً ثلاثة أشهر، وبعدها سافر على أمل اللحاق به، وقد رزقنا الله بطفل جميل أسميته عبد الله، وبعد معاناة خمسه سنوات من المحاولة جمع الشمل والسفر الى زوجي التي باءت بالفشل فررنا الانفصال. ربيت عبد الله وأكملت دراستي وحصلت على البكالوريوس في اللغة الانجليزية، وعملت كمتطوعة في فضائية تلفزيون فلسطين في إعداد وتقديم حلقات عن الأسرى في رمضان، وكانت أولى الحلقات عن نائل وابن عمه فخري اللذان أصبحا أقدم الأسرى في سجون الاحتلال. تابعت باهتمام أوضاع الأسرى عن قرب أكثر بعد أن عملت كمديرة للعلاقات العامة والإعلام في نادي الأسير، كانت تلك الفترة حقبة قاسية على الأسرى بعد أن شاهدت الجميع يتخلى عنهم وكثير من يعمل باسمهم ولا يعمل لأجلهم. كان نائل يتابع خطواتي المهنية باهتمام، ويشاهدني على التلفاز في برنامج عن الأسرى، وعاد ليرسل أهله في العام 2004 من جديد لخطبتي، كان والده رجل جميل في خلقه وخلقه يسعى لإسعاد ابنه، وقد أبديت الموافقة على التواصل مع نائل في سجنه، بعد أن أحببت بطلا في ذاكرة أصحابه وزملاءه الأسرى وتعرفت عليه اكثر من الاتصال به عبر الموبايل، بعد أن نجح الأسرى في تهريب عدد من أجهزة المحمول. تعاهدنا على الوفاء معاً، وإن كان هو أشجع مني باتخاذه قرار الارتباط بي، أما أنا فطلبت أن يكون ذلك بعد الحرية وكان هدفي أن أعطيه ونفسي التأكيد بأننا نريد بعضنا حباً لا واجباً. وخلال تلك السنوات رحل والدا نائل عن الحياة، وبقي الحلم يكبر بالحرية وقرب اللقاء، وازداد بعد نجاح المقاومة في أسر الجندي جلعاد شاليط في العام 2006.

■■ يوم الحرية

لم يكن تاريخ 2011/10/18 يوماً عادياً ولا شمس ذلك اليوم على الأسرى وما تحمله من ذكريات، لحرية بطل بلا قيود بعد 34 عاماً في الأسر، سينعم بالحرية واللقاء لأول مرة دون أسلاك شائكة وحواجز. شاهدته بطلي لأول مرة عن قرب في محافظة رام الله سجن رام الله القديم، نائل يسير على الأرض محمولاً على الأكتاف، كان الشعور مختلط شعور غريب كأني لا أعرفه من قبل، هذا بطلي ليس من لحم وعظم بطلي كان يتحرك في ذاكرتي. وصل موكب نائل الى قريته كوبر، وكنت برفقة الموكب ولم أحظى بالسلام عليه عن قرب، فاعتلى نائل المنصة وخطب خطبة نارية خطفت القلوب، والعيون كانت تبحث عني ثم نزل من المنصة لأحظى برؤيته دقيقة خلف الكواليس ولا أذكر ماذا كان حديث نفسي لي وقتها . حدثني نائل عن يومه الأول في بيته، وقد خلا من والديه، نام على سرير أمه وحضن وسادتها ولم تتوقف عيناه عن البكاء فقد كانت تتمنى أن تعيش لهذه اللحظة. خطبتي كانت سريعة وزواجنا كان أسرع فقد حثتني حنان شقيقة نائل على السرعة كونه نائل خرج من المعتقل ولم يجد أما او أب او أخ فقد كانت شقيقه أبو عاصف معتقلاً إدارياً، وكانت حنان التي تركها قبل الاعتقال بعمر 14 عاماً قد تزوجت وأصبحت جدة. كانت فترة الخطوبة في غالبها على التلفون، فقد كان نائل مشغول دوما بلقاء المهنئين يقف مستقبلا ساعات طويلة، يجهز ونفسه وبعد العشاء ينام مبكراً ليستعد لقيام الليلة ومذاكرة القرآن. تزوجنا بعد شهر في عرس وطني وعشنا 33 شهر ونصف معاً، كنت صديقته ورفيقته وسائقه الخاص، التحق بالجامعة لدراسة التاريخ، وحصل على رخصة سياقه، كان يلبي دعوات وسائل الإعلام متى وأين كانت للدفاع عن الاسرى . شاركنا الناس أفراحهم وأتراحهم .. أحب أرض أجداده وقطف زيتونة لأول مره .. غلى الشاي على النار .. أكلنا تحت الشجر وضحكنا سويا، وكم كانت سعادته كبير عندما حل موسم الشتاء وشاهد نزول الثلج لأول مرة بعد حرمان سنوات طويلة وقت أن كان عمره 18 عاما، فأخذ يعلب به مع أخته حنان وولدي عبد الله، وكأنه طفل صغير يفرح بالأشياء الجديدة.

■■ عودة الى الاعتقال

بتاريخ 2014/6/18، وقد تجاوزت الساعة الثانية صباحا تركت نائل يجلس في ركنه أمام التلفاز يتابع الأخبار، واستيقظت على حلم رأيت فيه صبيه يحيطون بنائل كان مازال يجلس أمام التلفاز يتابع أخبار الخليل حدثته بما رأيت فقال خيرا إنشاء الله، دقائق معدودة بعدها سمعت أنفاسه تتعالى معلنتا انه دخل في نوم عميق، فقد كان بمجرد ان يضع رأسه على الوسادة ينام. بعدها رن هاتفي المحمول، ليخبرني أحدهم أن الجيش يقتحم القرية من جميع الجهات، ويتجه نحو البيت، حينها لم أشعر بالخوف فهي ليست المرة الأولى التي يأتي الجيش ويقتحم المنزل، توجهت مسرعة الى الشباك فكانوا كالجراد المنتشر حول البيت، أيقظت نائل بهدوء وأيقظت ابني عبد الله الذي لم يتجاوز 14 عاماً. ذهبت مسرعة الى الباب الرئيسي خوفا من تفجيره، دخلوا لم يلتفتوا لي ولحظة وحدتهم يجلسون نائل على الأرض وابني على الكرسي، ولم أتمالك نفسي فبدأت أصرخ بلغات ثلاثة عربية وانجليزية وعبرية، ماذا تفعلون هنالك ماذا تريدون هل أنتم مجانين لم يفعل شيئاً لماذا تجلسونه على الأرض. صرخ الضابط في وجهي ليخيفني، فوجدت صوتي أعلى وأقوى منه، فقام باحتجازي في غرفة مع ابني، ومر الوقت وكأنه دهر، وسمعت نائل يقول .. سيعتقلونني، لحقت بهم مسافة تجاوزت 200 متر وانا أحمل معي حاكيته كي يعطوها له حتى يرتديها . خرجت شمس ذلك اليوم حزينة فقد بكت الأشجار التي زرعها بيديه من البرتقال والليمون وحتى الخضروات....فقد كان نائل كل صباح يتحدث اليها، يسقيها الماء ينتظر ثمرها .. ولكنه لم يذقه . وبعد سنوات طالت أكاد أنسى فيها ملامحه .. في إحدى زيارتي له في المعتقل قال مازحا هل حقا خرجت من المعتقل ؟ هل حقا لي بيت، هل أنت زوجتي ؟ أضحك فيكمل أشعر أن خروجي 32 شهراً كان مجرد حلماً جميلاً واستيقظت منه سريعاً، لأجد نفسي بين جدران السجن من جديد. نائل البرغوثي الان في سجن هداريم وقد أمضى ما يقارب 40 عاما بعد ان أعيد له حكم المؤبد و18 عام ولم يسمح لنا بزيارته منذ أكثر من ستة أشهر. نائل ذلك الشاب الشيخ الذي ما زال يصر أنه شاب ولا ينافسه حتى الشباب في مباراة الرياضة التي تقام على أرض المعتقل، اسمع ضحكاته الطفولية فهو لم يتخلى عن الطفل في داخله يمازح هذا ويمازح ذاك فقد كان وما زال ينشر الفرح حيث يكون ..

كانت لي معهم حكاية

■■ بقلم : قدورة فارس
رئيس نادي الاسير الفلسطيني

كان لقائي مع هذه الأسرة المناضلة من خلال الحاج صالح البرغوثي والد الأخ والمناضل الحبيب نائل فقد كان لدي اعتقاد قبل اعتقالي أن الأسرى هم فقط من الشباب، لأن كل الذين كانوا يعتقلون من فئة الشباب، وترسخ في ذهني أن الفدائي يجب أن يكون شاباً. وبمجرد انتهاء التحقيق معي نزلت من الزنازين إلى الأقسام العامة، فكان أول أمر استوقفني إنني التقيت بالمرحوم الحاج صالح البرغوثي أبو عمر لتنفي من عقلي أن النضال هو مسؤولية الشباب، وفهمت خصوصاً بعد ما استمعت لما يصدر عن الحاج أبو عمر البرغوثي أن الثورة في وجه الظلم إنما هي مسؤولية الشعب، ومن كل الفئات العمرية والطبقية، وأن كل إنسان يستطيع أن يفعل شيئاً ضد الاحتلال. مكثت في سجن رام الله سنتين ثم حكمت وانتقلت إلى سجن بئر السبع، وهناك التقيت مع أبناء الحاج أبو عمر وهما عمر (أبو عاصف) ونائل الذي صار يكنى بعد أن طال به الأسر "أبو النور" وعشنا معاً في قسم 9 في سجن –بئر السبع، وكانا بسلوكيهما يمثلان توجهاً إنتقادياً إصلاحياً ويجهرون بذلك ويطرحون مواقفهم بكل شجاعة، ولن أنسى ذلك اليوم بعد وصولي لسجن بئر السبع بشهرين تقريباً حين وقفنا – كل الأسرى– نهتف بصوت واحد ضد إدارة السجن، وكان ذلك في المساء، وقفت بجانب الأخ عمر على باب الغرفة وكنا ننشد بصوت عالي" قولوا لمن يبغى يحارب فتحنا – يُلقى عواصف كاسرة غضبنا " وكنت أنظر إلى تعبيرات وجهه التي عكست إيمانه وقوته وبسالته وصدق وطنيته، وقد أثر في هذا الحدث وضخ في صدري قدر كبير من العناد والإصرار، وعشنا معاً لمدة سنتين ثم انتقلنا إلى سجن جنيد المركزي، إذ انه وبعد وقت قصير أُنجزت عملية التبادل وتحرر عمر، وبقي نائل وبقينا معاً وكان مجموع السنوات التي عشتها مع نائل حوالي عشرة سنوات، وكنا دائما على خلاف في الشأن السياسي وكنا نخوض نقاشات حادة ولكن طبقنا فعلياً مقولة أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، ولم نكن نختلف إطلاقا بشأن صراعنا مع إدارة السجون، فكان دائماً مبادراً ومشاركاً وعنيداً في كل الخطوات النضالية التي كنا نخوضها، وكان من الذين يُؤخذون بالعزيمة في كل ما يتعلق بالصراع مع الاحتلال وإدارة المعتقلات، وهذه كانت نقطة اللقاء الأساسية بيننا ولذلك فإن الأخ نائل ربما يكون من أكثر الأسرى مشاركة في الإضرابات عن الطعام المفتوحة والجزئية، فلم يتخلف عن أي إضراب ولا يتذمر، وتمكن رغم انه يتبنى آراء تتسم أحيانا بالجمود على الأقل من وجهة نظري، إلا انه كان حريصاً على الفصل بين رأيه في المسائل السياسية والاجتماعية وبين علاقته مع المناضلين الذين دائماً رأى فيهم أخوة ورفاق قيد ودرب، وهذا ما يفسر القدر العالي من الاحترام الذي يحظى به في أوساط الأسرى على اختلاف مشاربهم التنظيمية والسياسية. وفي العام 1994 كان من بين الذين عزّ علي مفارقتهم حد البكاء حين ودعتهم يوم تحررنا من السجن في إطار اتفاق القاهرة، ولم تنته علاقتي بالعائلة عند هذه النقطة، بل نواصل اللقاء مع العم المرحوم الحاج صالح أبو عمر والحاجة فرحة أم عمر، إذا كنا دائماً معاً في كل الفعاليات والمظاهرات والاعتصامات التضامنية مع الأسرى وقضيتهم، فلم يتخلفا عن المشاركة في الأنشطة المساندة وطالما جمعتني بهما أحاديث إنسانية، فمر نتحدث عن لقائي لأول مرة للحاج أبو عمر في سجن رام الله، أو أحاديث وحكايات عن نائل للمرحومة أم عمر التي كانت تحب أن تسمع أي قصة عن نائل، وكانت تسأل كثيراً وتريد أن تعرف المزيد، وكم كانت تستوقفني بعزيمتها وإيمانها حين تتحدث لأهالي الأسرى لترفع من معنوياتهم وكذلك حين تتحدث مع الإعلام خلال الفعاليات والمسيرات، فكانت بحق سندياة فلسطينية أصيلة مثلت خير تمثيل للمرأة الفلسطينية المكافحة والمؤمنة حتى وفاتها، وكذلك الحاج أبو عمر وبقيت على تواصل مع نائل، وبقيت أفراد العائلة، ولا أبالغ إن قلت أن جميع أفراد العائلة صغيراً وكبيراً وفي مقدمتهم المناضل الكبير عمر البرغوثي أبو عاصف والمناضلة العظيمة أم عاصف، فلم أرى إلا أسرة سخرت نفسها للكفاح والمقاومة بكل إيمان ويقين وقناعة رغم الثمن الباهظ الذي دفعته هذه الأسرة وشاءت الأقدار أن يختار الأخ نائل عروسه وهي المناضلة إيمان نافع الأسيرة المحررة، وكانت تعمل آنذاك في نادي الأسير، وشاءت الأقدار أن التقيته يوم تحرره من الأسر في صفقة "وفاء الأحرار" بعد 16 عاماً فإذا به كما تركته بذات الإيمان وبنفس اليقين بالحرية والاستقلال، ينطبق عليه قول الله تعالى" مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ". نائل المؤمن العنيد صاحب الرأي المباشر الواضح والحاد في كثير من الأحيان، لم يشغل نفسه في تنميق كلامه، بل يقوله واضحاً جلياً كما هو، ويستحق بعد كل هذه المسيرة الحافلة من العطاء وعن جدارة صفة الرمز النضالي لكل أبناء الشعب الفلسطيني، هو وأسرته المناضلة العظيمة، كما أنه جسد وعن إدراك ووعي مسألة نحن كفلسطينيين أحوج ما نكون إليها وهي القدوة الحسنة فهو ليس مُنظراً بل إنه ينشر ويعمم فكرة الثورة والاستعداد للتضحية بالسلوك والعمل، فسلام عليك أيها المناضل والقائد والصديق الحبيب نائل البرغوثي "أبو النور" حيثما حللت سائلاً المولى عز وجل أن ألتقيك حراً مرة أخرى تحت زيتونة في كوبر البلد الذي تحب.

عقدت منظمة التحرير الفلسطينية اتفاق أوسلو في 13 أيلول 1993 مع الكيان المغتصب، وازداد قناعة برؤيته الإسلامية، ووافق حركة حماس على موقفها برفض إعلان مبادئ أوسلو. غادر يوم 29 تشرين أول 1995 غرفة (12) للمرة الأخيرة، قبيل تسليم سجن المدينة إلى أجهزة السلطة الوطنية الفلسطينية . تأمل جدران الزنزانة الضيقة قبل لحظات انفعال وغضب، بصق على جدران غرفة خطفت وحدها ثماني سنوات من عمره. غادر سجن جنيد لأول مرة منذ أحد عشر عاما. اخترقت "البوسطة" في طريقها إلى سجن الرملة مركز مدينة نابلس، وشاهد نائل الأعلام الفلسطينية فوق المؤسسات الوطنية، واستمع لأصوات الباعة، ودقق في حركة الناس وطوابير السيارات والمنازل والمحلات والبضاعة وملامح المارة والتجار والمتسوقين، وبدا له أنه يعرف كل واحد التقطه بعينيه من قلب المدينة المكتظة بالحركة. لم يجلس على المقعد طوال رحلة "البوسطة"، وظل واقفاً يتأمل كل شيء يسقط تحت بصره، في الطريق الممتدة نحو الغرب. قضى قبل عودته إلى جنيد عدة أيام في معبر سجن الرملة، واختار سائق "البوسطة" طريقاً جديدة للوصول إلى نابلس. حرص نائل طوال الطريق على البقاء واقفاً، لعله يلتقط ببصره كل شيء ويحتجزه كمشهد في ذاكرته يقتاتُ عليه خلف قضبان زنزانته، وتأمل أن لا يغيب مشهدا من طريقه المقيّدة بالحديد. استقر في سجن بئر السبع شهرين، قبل أن يتخذ قراره بالعيش في أقسام حركة حماس دون إلتزام سياسي بمواقفها، وبدافع التشابه في السلوك الاجتماعي: لا يدخن ولا يسهر خلال الليل. نقل إلى نفحة مطلع 1996، وعشر منتصف نيسان 1997 على عصفوره الرمادي الصغير، وقد ظل ينفخ في منقاره حتى استرد وأطلقه حراً إلى السماء. نقل إلى سجن عسقلان عام 1997 وشارك يوم 6 أيار 2000 باضراب عن الطعام تواصل خمسة وعشرين يوماً، تضامناً مع أسرى معتقل هداريم الذين بدأوا اضرابهم مطلع أيار احتجاجاً على زجهم في سجن جديد للعزل؛ وشهد خلال الاضراب تحرير جنوب لبنان يوم 25 أيار بفرار جيش الاحتلال ومرتزقة الجنرال أنطوان لحد تحت شدة ضربات جبهة المقاومة اللبنانية.

■■ غياب نجمين

حظي نائل يوم 10 آب 2004 بزيارة والده بعد انقطاع طويل عن الأهل دام ثلاث سنوات لرفض الاحتلال منحهم تصاريح زيارة. لم يكن المسن متعباً بل كان بكامل حيويته وصحته، وقد توجه إلى فلذة كبده بمفردات توحي بوصيته عندما كرر بوضوح مودعاً: هذه زيارتي الأخيرة لك يا نائل، فإحرص على نفسك وإضغط على جمرك المتقد أكثر، حتى يحين موعد الفرج. دقق في ملامح والده، وتساءل في سره: لماذا يشدد على مفردة زيارته الأخيرة ؟ إنتهت الزيارة سريعاً، وغادر والده عائدا إلى بيته، في حين أقدمت إدارة السجن على نقله بعد ثلاثة أيام إلى معتقل نفحة، متزامناً مع إعلان الإضراب المفتوح عن الطعام الذي طرق أبواب السجون في منتصف شهر آب. بعد شهرين تقريباً على آخر زيارة لوالده، وتحديدا يوم 13 تشرين أول 2004 علم نائل برحيل والده أثناء وجوده في معبار سجن بئر السبع قادماً من نفحة لحضور جلسة محكمة في الرملة. تدخل ممثل المعتقل لدى إدارة سجن بئر السبع، ليلتقي نائل شقيقه الأسير عمر لمدة ساعة في معبار سجن بئر السبع قبل عودته إلى معتقل نفحة. كان الصمت بين الشقيقين الأسيرين أبلغ من الكلام، وهما يستعيدان في الذاكرة كفاح رجل تواصل على مدار سنوات عمره، ورحل بكبرياء مناضل فذّ، لم يتأخر يوماً عن تقديم واجبه الوطني والإنساني لأبناء شعبه. أقدمت إدارة سجن نفحة مطلع نيسان 2005 على نقل نائل بصورة مفاجئة إلى معتقل عسقلان، وبعد أسبوعين هبط الشقيقان عمر ونائل من غرفتهما إلى قاعة إنتظار في السجن وسط حالة من استنفار غير عادية للحراس. دخلتْ والدتهما أم عمر منهكة على حمالة، تماسكتْ وقالت أن والدكما رحل قبل ستة أشهر وهو راض عنكما. مرت الزيارة بطقوس حزينة ومؤلمة، وعادتْ أم عمر لاستكمال علاجها بمستشفى المقاصد الخيرية في القدس، قبل أن تغيب فجر 19 تشرين أول 2005 عقب مشوار طويل جداً على بوابات سجون الاحتلال. تنقل نائل خلال ست سنوات على غياب والدته بين سجون هشارون، ايشل، نفحة، وتحرر من سجن رمون يوم 18 تشرين أول 2011 في صفقة وفاء الأحرار.

■■ الحرية والخطوبة

مطلع تشرين ثاني 2011، وبعد اثني عشر يوما على تحرره، غادر نائل بلدة كوبر برفقة جاهة شعبية، واتجه صوب قرية نعلين غربي رام الله، وتقدم رسمياً لخطبة الأسيرة المحررة إيمان نافع من والدتها وأشقائها. حدد موعد زفافه بعد ثمانية عشر يوماً على الخطبة، وشكل وجهاء كوبر لجنة لمتابعة شؤون الزفاف. انطلقت في المساء فعاليات السهرة، ورقص الشبان للحرية وغنوا للوطن المحتل، وسجل نائل مشاعره وأمنياته أمام مراسلي الصحافة المحلية. أقام وزوجته إيمان في بيت العائلة لعدة أسابيع، قبل أن يستكمل تجهيز بيته الجديد، ويعيد ترميم أخطاء البناء، لكنه لم يفقد ايمانه مطلقاً بصدق شعبه رغم مسلكيات مجموعة استثنائية لا يشغلها سوى اقتناص المال دون رادع أخلاقي، وظل قابضاً على صرخة البطل في رواية "اللاز" للروائي الجزائري الطاهر وطار: ما بظل في الوادي إلا حجارته.

ظهيرة الأربعاء يوم 17 تموز 2013 حَمل نائل على كتفه نعش رفيقه أحمد أبو السكر، وسار به مع آخرين مسافة طويلة من جامع بلدة ترمسعيا شمال رام الله حتى المقبرة تحت شمس حارقة، ورفض نائل أن يستبدله أحد أثناء التشييع قائلاً: حَمل أبو السكر قضية فلسطين 27 سنة في سجون الاحتلال، لنحمله 27 دقيقة على الأكتاف في رحلته الأخيرة. أصّر مع رفاقه حمل نعش أبو السكر بدلا من استخدام سيارة نقل الموتى. في الطريق الترابية إلى المقبرة، استعاد نائل تاريخ الرجل الصامت الممدد فوق كتفه، وقد رحل بصمت فوق أكتاف الأجيال المتعاقبة للمقاومة الفلسطينية، بعد تاريخ حافل من الكفاح. سجل نائل لاستكمال دراسته في جامعة القدس المفتوحة، لكنه قبل ذلك جَلب كميات من التراب الزراعي الأحمر وفردها في المدخل الواسع لبيته، وجهّز الأرض للمطر الذي يعانق السماء مودعاً قبل أن يحتضن الأرض ويمنحها بريق روحه لتثمر وتزهر، وقبل أن يكمل دراسته أعاد الاحتلال إعتقاله مرة أخرى في حزيران 2014 وأصدر بحقه حكماً في السجن الفعلي لمدة عامين ونصف. قضى نائل 34 سنة وعاد مرة أخرى للسجن، ودفع ثمناً باهظاً لمواقفه، وكان قد قال أنه ليس فخورا بقضاء ثلثي عمره في سجون الاحتلال، لأن الواجب الوطني يقتضي تحريره وكل أسرى وأسيرات الحرية. إعترف أن الفضل في صموده يعود للخالق عز وجّل الذي ثبّت من السماء إيمانه وقدرته على تحمل معاناة الأرض، ثم تماسكه الشخصي وصموده الأسطوري حتى غادر سجنه لمدة لم تتجاوز العامين ونصف.

■■ اعتقال انتقامي!

اعتقله الاحتلال انتقامياً من بيته في بلدة كوبر ليلة 18 حزيران 2014 بعد 982 يوماً على تحرره، وأصدرت المحكمة العسكرية في معسكر "عوفر" على أراضي بيتونيا (رام الله)، حكماً بسجنه ثلاثين شهراً فعلياً دون تهمة، لكن النيابة العسكرية للاحتلال استأنفت على الحكم أواسط أيار 2015، ومنعت إدارة السجون من اطلاق سراحه نهاية 2016 مع انتهاء حكمه بالسجن الفعلي، وظل محتجزاً دون تهمة حتى أعادت سلطات الاحتلال يوم الأربعاء 22 شباط 2017 حكمه السابق بالسجن المؤبد و18 عاماً دون وجه حق؛ بالتنكر لاتفاقية صفقة تبادل وفاء الأحرار برعاية مصرية. أواخر تشرين أول 2018 تواصلت حملات التضامن المحلية والعربية والدولية مع الأسير نائل البرغوثي؛ على وقع عيد ميلاده الحادي والستين واستمرار اعتقاله الطويل دون مبرر، واعادة حكمه السابق بالمؤبد إلى جانب ستين أسيراً من رفاقه حررتهم صفقة وفاء الأحرار! في ضوء اتساع نطاق حملات التضامن؛ أقدمت إدارة سجون الاحتلال منتصف تشرين ثاني على خطوة انتقامية بنقل البرغوثي من سجن ايشيل بئر السبع في النقب المحتل إلى معتقل عزل هداريم شرقي مدينة يافا!

■■ جمر التأمل!

من أين للأسير أن يقرأ في عزله سر الأيام القادمة الحبلى بتضحيات جديدة، عصفتْ بأفراد أسرة عريقة ومناضلة، وكيف لأبي النور أن يعلم أسرار لا يعلمها إنسان: مساء الأحد 9 كانون أول 2018، في السنوية الحادية والثلاثين للانتفاضة الأولى، تعرض عدد من مستوطني "عوفرا" شرقي رام الله لاطلاق نار من سيارة؛ فأصيب زوجان بجروح خطيرة. داهمتْ قوات الاحتلال رام الله والبيرة، وشرعتْ بعمليات بحث واسعة عن المنفذين، وشددتْ عزل المدينتين بحواجز عسكرية محكمة، واستولتْ على كاميرات مراقبة المحلات التجارية في شارع الارسال! مساء الأربعاء 12 كانون أول اعترضت سيارة مدنية (للمستعربين) المركبة العمومية للسائق الشاب صالح عمر البرغوثي (29 سنة) إبن شقيق نائل، قرب بلدة سردا شمال رام الله، حتى وصلت سريعاً قوة عسكرية للاحتلال؛ فأطلقت الرصاص نحو المركبة وتحطم زجاجها الخلفي. سحبت الشاب من السيارة واعتقلته؛ قبل الإدعاء بأنه حاول الفرار فتعرض لاطلاق نار أدى إلى استشهاده! داهمت قوات الاحتلال بلدة كوبر، واحتجزتْ طوال ساعات الليل أفراد عائلة البرغوثي والجيران الذين وصلوا للتضامن مع العائلة فور انتشار نبأ استشهاد صالح، وتعرض بعضهم لاطلاق نار؛ فأصيب صلاح البرغوثي (54 سنة) بجروح في ساقه اليسرى. منع الاحتلال تقديم الاسعاف للجريح، واحتجزه في ظروف قاسية قبل نقله إلى مستشفى في تل أبيب ليتقرر بتر ساقه اليسرى! تم اطلاق سراح بريء بعد عشرة أيام على احتجازه دون مبرر، وبضرر فادح نال من ساقه. يقيم صلاح على سرير شفاء في مشفى بمدينة رام الله لتلقي العلاج. اعتقل الاحتلال الأسير المحرر الشيخ عمر البرغوثي (65 سنة) ونجله البكر عاصف، واعتقل أبو عاصف مراراً عقب اطلاق سراحه في صفقة تبادل الأسرى أواخر أيار 1985، وقضى في اعتقالاته المتكررة أكثر من ثلث عمره خلف القضبان..وأعيد اعتقاله مرة جديدة مع نجله الشاب محمد أواخر آذار 2020. وقائع الاشتباك المتواصل وفر للأسير نائل فرصة متجددة للتأمل: فجر الخميس 13 كانون أول 2018 استشهد الشاب أشرف نعالوه في مخيم عسكر الجديد شرقي نابلس بعد مطاردة دامت شهرين؛ بحجة قتل اثنين من مستوطني "بركان" الصناعية قرب سلفيت وجرح ثالث. استشهد أشرف قبل خمسة أيام من هدم منزل عائلته في ضاحية شويكة الملاصقة لمدينة طولكرم، فيما رفض الاحتلال اطلاق سراح والدته ووالده وشقيقه المحتجزين في ظروف قاسية منذ شهرين.

ظهر الخميس، بعد ساعات على استشهاد أشرف وليلة على استشهاد صالح، قتل جنديان إسرائيليان وأصيب اثنان بجروح خطيرة في اطلاق نار قرب مستوطنة "عوفرا" شرقي رام الله؛ فأقدم الاحتلال على تشديد اغلاق الحواجز العسكرية حول رام الله والبيرة، وأطلق العنان للمستوطنين للاعتداء على سيارات المواطنين بين مدن الضفة الغربية المحتلة، في حين أقدمت قوات كبيرة من جيش الاحتلال فجر السبت 15 كانون أول 2018 على هدم منزل عائلة أبو حميد في الأمعري جنوب مدينة البيرة للمرة الثالثة؛ بذريعة قيام الأسير المحرر إسلام أبوحميد (32 سنة) بقتل جندي إسرائيلي أواخر أيار 2018؛ بإلقاء قطعة رخام على رأسه من أعلى بناية في المخيم. مساء الأحد 16 كانون أول 2018 أصدرتْ عائلة الشيخ عمر البرغوثي بياناً أكدت فيه أن نجلها صالح تعرض لعملية تصفية بدم بارد، رافضة ادعاءات الاحتلال بأن ابنها حاول الفرار، ووثق البيان أن "الارتباط الفلسطيني أبلغ العائلة على الثامنة والنصف مساء بأن صالح معتقل وأن اصابته طفيفة"، وتلقى الارتباط الفلسطيني خلال ساعتين "أربع اجابات متناقضة بخصوص حالة صالح حتى الحسم بالشهادة عند الساعة العاشرة والنصف ليلا". أبرز البيان أن عملية اعدام بدم بارد نالت من الشهيد صالح، وحذر من تهديدات تستهدف أفراداً آخرين من العائلة.

فجر الأربعاء 19 كانون أول داهمت قوات الاحتلال بيت الأسير المحرر والمطارد عاصم عمر البرغوثي (30 سنة) شقيق الشهيد صالح، وأخذت قياسات المنزل لهدمه دون مبرر. اعتقلت قوات الاحتلال عدة ساعات آيات دحادحه، زوجة عاصم، للضغط على زوجها المطارد لتسليم نفسه. قضى عاصم 11 سنة في سجون الاحتلال، وأطلق سراحه مطلع نيسان 2018 بعد انتهاء محكوميته، وتزوج نهاية الصيف. عاش المرحلة الأولى من سنوات سجنه في زنزانة عمه نائل قبل تحرر الأخير في صفقة (وفاء الأحرار) خريف 2011. أصدرت محكمة عسكرية إسرائيلية ظهر الأربعاء 24 حزيران 2020 حكماً بالسجن الفعلي أربعة مؤبدات بحق الأسير عاصم البرغوثي بعد ادانته بقتل ثلاثة مستوطنين بينهم جنديان مسلحان قرب مستوطنة عوفرا شرقي مدينة رام الله وسط الضفة الغربية المحتلة ،شهدت الأيام الأخيرة للعام 2018 دراما عاصفة في محطات الأسير أبي النور، وحجزتْ موقعها في تاريخ كفاحه، وحفرتْ بصمة في يوميات عائلة عريقة ومناضلة؛ لم تبخل يوماً في التضحية من أجل وطن مستقل وشعب حر.. عام جديد يطرق باب الرجاء بالدعاء لعل أمنيات التحرر والعدالة تتحقق بانتصار نائل ورفاقه على الجلاد وقيد السجان. يمتلك نائل البرغوثي (63 سنة) شخصية متماسكة، وقدرة هائلة على انتزاع المواقف الكوميدية الساخرة في أحلك الظروف القاسية والأوقات العصيبة، ويصطاد ببراعة المفارقات ويضعها بجملة مركبة من الفكاهة المرة، تثير الاعجاب، وتفتح سكة واسعة لضحك متفجر. تكشف روح النكتة الساخرة التي يمتلكها عن شخصية صلبة لن تنكسر، وستعود حتماً منتصرة من معتقلات الاحتلال؛ رغم قرار المحكمة العسكرية بإعادة حكمه السابق بالمؤبد، وقد أمضى عميد الأسرى حتى اللحظة 40 عاماً في سجون تنقل بمعظمها منذ نيسان 1978 عندما كان في الحادية والعشرين من عمره، ولا زال حتى هذه اللحظة يكابد مرارة الاعتقال في سجون الاحتلال.

elmouatan@Gmail.com
المواطن

يلين الفولاذ والإرادة لن تلين

40 عام في الأسر ولا زال حلم الحرية يكبر فينا ...

■■ بقلم الكاتبة : تمارا حداد

تسطرُ فلسطين أبهى صور الصمود والصبر والثبات على مبادئ يصعب الفكاك منها، وقصص عظيمة تُروى كل يوم تحمل بين طياتها عناوين التحدي والأمل نحو الخلاص من ظلمة السجان، نائل البرغوثي إحدى القصص الوطنية التي انحفرت وما زالت في ذاكرة كل نفسٍ وطني يهمه الأرض والوطن، عنوانَ الصمود أذاب الحديد والفولاذ والإرادة لن تلين. ومازالت زوجته ايمان البرغوثي تنتظر لحظة خروجه بعد أربعون عاماً من القهر والهوان، بالرغم من خروجه قبل عدة سنوات من السجون عبر صفقة شاليط إلا أنه أُعيد اعتقاله ليقضي سنوات وسنوات في السجون لِيُكمل في الشهر "تشرين الثاني" القادم مدة أربعون عاما . مازال نائل البرغوثي متمسكاً بالأمل فهو يقضي حياته اليومية في الرياضة والقراءة واعطاء الدروس في العلوم السياسية والاعلام للأسرى داخل السجون الاسرائيلية، يضع لمساته الفعلية على أرض الواقع من خلال رسائله التي لم تكتفي بنهجها الوطني بل امتد نحو النهج الإنساني والبيئي والخوف على مصالح الشعب الفلسطيني، فهو يرسل رسائل عبر زوجته في الحفاظ على الأرض وزراعتها لإيصال الشعب نحو سياسة الاكتفاء الذاتي، ودوماً يحذر من أن الحرب القادمة هي حرب على المياه لذلك يوصي مقربيه بعمل آبار للمياه لكل فرد يمتلك ارضا.

■■ فرحة لم تكتمل:

أثارت حفيظتي قصة نائل وزوجته ايمان، كيف صبروا رغم التحديات والاغراءات المقدمة لهم ومازالوا متمسكين برسالة الوطن والارض، إيمان تحب العمل الخيري والطوعي والدفاع عن حقوق الأسرى، هذه الصفة جعلت عميد الأسرى نائل البرغوثي يُعجب بها ويطلب يدها. ما أذهلني بهذه القصة انه رغم الزنازين وقيد السجان فقد خلقت قصة وفاء بين رفاق النضال من اجل الوطن، وما أعجبني أكثر أن إيمان وافقت على الزواج رغم معرفتها بحكم نائل البرغوثي فقد تم عقد القران وهو في السجن. ولكن لا بد للقيد أن ينكسر، خرج نائل من أسره بعد 34 عاما بصفقة وفاء الأحرار، بخروجه تم الزواج الذي تعتبره إيمان هو انتصار وتجسيد روح الأمل والتحدي، ومكرمة من الله وهدية ربانية، وما جذبني أكثر كلماتها عن الفرحة والسعادة التي كانت تعيشها مع نائل، فقمة الروعة حاولت إيمان أن تعوضه عن سنوات اعتقاله 34 عاما، فعاشت معه سنتين ونصف أسرة يجمعها حب الوطن، لكن شيطنة الاحتلال سرق البسمة من على وجهيهما، ومن هنا بدأت معاناة إيمان بأسر زوجها وعدم قدرتها على الزيارة، فإيمان منذ اعتقال زوجها تعتني بحديقة وأشجار نائل التي زرعها بيده، فعندما تشاهد الزهرة والثمرة على الأشجار تشعر بالتفاؤل الذي يعطيها الأمل لرجوع زوجها لها. وهي تتمنى إن تحتفل بعيد زواجها السنوي 11/18 وزوجها بجانبها وتحلم أن تُكون أُسرة كريمة أسوة كبقية الأسر، فزوجها في 10/23 سيتم عمره الواحد وستون عاماً واربعون عاماً داخل الزنازين، ولكن إيمان متفائلة ومثابرة وما دفعني بشوق إلى سماع كلماتها، أنها امرأة منسجمة مع ذاتها فتقول أن جسدها برام الله، ولكن عقلها وقلبها مع نائل في السجن الإسرائيلي، فتعيش آلامها بكل فخر وتصميم على السير قدماً من اجل تحرير زوجها، حيث انها تعاني من قلة زيارة زوجها وبالتحديد في فترة كورونا ولم تتحدث معه الا مرة واحدة، واشارت ايمان ان هناك قرارا بالسماح لاهل القدس بزيارة اقاربهم داخل السجون ولكن حتى الان لم يسمح الاحتلال لاهل الضفة الغربية بزيارة الاسرى وهذا الامر حسب القوانين الدولية والانسانية غير قانوني سواء باتفاقية جنيف الرابعة او حتى بالاتفاقيات الدولية الاخرى.

■■ محكمة العدل العليا:

في الثامن من شهر 7 القادم 2020 ستُعقد جلسة في محكمة العدل العليا من اجل اطلاق سراح نائل البرغوثي والاسرى الذي اعتقلوا معه وتم الافراج عنهم، وبالتحديد ان نائل البرغوثي قد حكم عليه قبل اربعون عاما السجن مدة 30 شهرا دون دلائل وتُهم تدينه، ولكن الاحتلال حكم عليه بالمؤبد تحت ملفات سرية، لكن تأمل زوجته ايمان البرغوثي اطلاق سراحه قريبا وجميع الاسرى.

■■ مناشدات:

تناشد إيمان أن تكون مشكلتها ومشكلة أي أسير أو أسيرة أو طفل داخل المعتقلات أن تكون ضمن أولويات صفقة الاسرى القادمة ان حدثت، وتناشد الدول التي لها علاقة باتفاقيات سلام مع إسرائيل أن يستعملوا أسلوبا ضاغطا من اجل حل مشكلتها ومشاكل كل اهالي الاسرى، وتناشد الصليب الاحمر بان ياخذ دوره بشكل مسؤول كونه جهة محايدة يحق له الدخول الى المعتقلات الاسرائيلية.

■■ اين مؤسسات حقوق الانسان:

اغلب الاتفاقيات الدولية ساهمت في وضع قوانين تحمي حقوق الآدمية والإنسانية، فاين هذه المؤسسات من اجل الدفاع عن حقوق الاسرى والتي كفلها القوانين الدولية واتفاقية جنيف الرابعة لابراز هذه القصص الواقعية والنظر اليها ورفع صوتها عاليا لعل هذا الصوت منقذاً قبل فوات الاوان!

■■ بقلم :حسن عبد ربه
هيئة شؤون الأسرى والمحررين

قبل 90 عام أعدمت قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين الأسرى (محمد حمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير) فيما يعرف ب (الثلاثاء الحمراء) لمقاومتهم الاحتلال والاستعمار ، فخلدهم التاريخ لبطولاتهم واستمرارا لعقلية الاستعمار قام الاحتلال الاسرائيلي بتسجيل نحو مليون حالة إعتقال من ابناء الشعب الفلسطيني في محاولة لكسر إرادة وعزيمة الشعب عن المقاومة ورغم استمراره في احتجاز نحو 5 آلاف من الشهداء مع وقف التنفيذ ..أسرى الحرية فان التاريخ الوطني والانساني يخلدهم ، فكيف والحديث هنا عن أسير من عمالقة البطولة والفداء والذي أمضى 40 عام في سجون الاحتلال ..المناضل نائل البرغوثي بجانب أكثر من 50 أسير بمضون أكثر من عقدين في الأسر، ومنهم عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الأخ كريم يونس الذي امضى 38 عام بشكل متواصل وهو من اراضي فلسطين المحتلة عام 1948 . انها عنوان بطولة وتضحية وعنوان لمآسي انسانية والم !!! انها بطولة النضال والفداء والصمود والاشتباك الدائم مع السجان الصهيوني وصراع الارادة والم ومأساة لما فقده الاسير من فرص بناء الحياة الاجتماعية والاسرية وألم وحسرة لعدم تمكن القوى والفصائل من تحرير هؤلاء رغم طول سنوات الأسر ، هذه السنوات التي نشعر جميعا بفخر للصمود الاسطوري لهؤلاء الابطال ونشعر بالعتب الشديد لاننا لم نتمكن من تحريرهم !!! فهل يتصور العقل البشري حجم الألم والأمل الذي يعيشه من أمضى 40 عام خلف قضبان سجون الاحتلال ؟؟ الأسير نائل البرغوثي دخل عامة الأربعين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، في 20 تشرين الثاني عام 2019 وهي أطول فترة اعتقال يقضيها أسير فلسطيني في السجن وكان أفرج عن شقيقه عمر في صفقة تبادل للأسرى 1985 بينما نائل وفخري بقيا قيد الاعتقال، حتى أفرج عنهما بعدما أمضيا 34 عاماً متواصلة في الأسر، وذلك في 18أكتوبر/تشرين الأول 2011، ضمن صفقة تبادل الأسرى مقابل الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، الذي كان محتجزاً في غزة . ولد البرغوثي في قرية كوبر قضاء رام الله في 23 أكتوبر 1957،واعتقل نائل (62 عاماً) في يوم 4 أبريل/نيسان 1978، حين كان عمره 19 عاماً، مع مجموعة من الشبان بينهم شقيقه عمر وابن عمه فخري، بعدما اتهمهم الاحتلال بقتل جندي إسرائيلي، وحكم عليهم بالسجن المؤبد و18 عاماً .وقد رفضت سلطات الاحتلال الإفراج عنه رغم حصول العديد من صفقات التبادل والإفراجات التي تمت في إطار المفاوضات السياسية بين منظمة التحرير الفلسطينية ودولة الاحتلال . وخلال سنوات اعتقاله، فقد البرغوثي والديه، حيث توفي والده يوم 8 –10 –2004 ووالدته يوم 22–10–2005 وتوالت أجيال، ومرت العديد من الأحداث التاريخية على الساحة الفلسطينية والعالم . تحررنائل البرغوثي في صفقة التبادل التي تمت في 18–10–عام 2011 ، وبعد شهر واحد من الإفراج عنه تزوج نائل من الأسيرة المحررة إيمان نافع في 18 تشرين الثاني 2011 والتي كانت أمضت في سجون الاحتلال ما يقارب 10 سنوات ، نائل الذي تزوج بعد تحرره بشهر في عرس ، مهرجان وطني جامع وشاركناه مع مئات المحررين الفرحة والامل بالحياة والمستقبل في قاعة سليم أفندي بمدينة البيرة تلك الساعات التي كانت تعيد رسم الزمن وعجلة التاريخ وتؤسس لحياة انسانية سبقها بشهرالمشاركة بعرس وحفل الانعتاق من الأسر وتنسم عبق الحرية في كوبر حيث لسان الحال يردد لقد كسرت القيد قيد مذلتي وانطلقت عواصفا.. ويردد الجميع اغنية اطلعنا وقهرنا السجان .. وبعد تلك اللحظات الفارقة والمفرحة كانت المآساة تتكرر ثانية وكأن التاريخ يعيد نفسه باعادة الاعتقال وخرق الاحتلال لصفقة التبادل حيث أعيد اعتقاله بعد 32 شهراً من الإفراج عنه، بجانب 70 أسيراً من محرري الصفقة، في 18حزيران 2014 ، وصدر بحقه حُكم مدته 30 شهرا، وبعد قضائه مدة محكوميته أعاد الاحتلال حُكمه السابق، وهو المؤبد و18 عاما، إلى جانب العشرات من محرري صفقة "وفاء الأحرار" الذين أعيد لهم أحكامهم السابقة وغالبيتهم يقضون أحكاما بالسجن المؤبد ، لتبدأ رحلة معاناة جديدة مع الأسر والسجن والسجان . هذا الحكم شكل صدمة للجميع ورغم كل الجهود التي بذلت مع الراعي المصري لعملية التبادل الا انها لم تفضي لأي نتائج ملموسة وحتى المتابعات القانونية ورفع شكوى إلى ما يُسمى "محكمة العدل العليا" الإسرائيلية والتي حددت عدة مواعيد لاتخاذ قرار والبت في قضية إعادة الاعتقال لنائل وأكثر من 30 أسيرا ولكن دون جدوى . بمناسبة دخول نائل عامه الـ40 في الأسر، إدارة السجون تذرعت بصدور تصريحات عنه اعتبرتها تحريضية وعلى خلفية ذلك أقدمت على عزله في زنازين سجن بئر السبع "إيشل"، كاجراء عقابي ، ويواكب ذلك ما تعرضت له زوجته من قيود ومضايقات لحرمانها من الزيارة بحجة أنها أسيرة سابقة كحال مئات عائلات الأسرى المحرومين من الزيارات تحت ذرائع امنية. نائل البرغوثي رغم سنوات الأسر ال 40 والتي لاتزال مستمرة يتمسك بقضيته الوطنية وأرضه وتطلعه للحرية والاستقلال الوطني ويتمتع بمعنويات عالية جدا ، ومن خلال رسائل كان البرغوثي قد وجهها عبر محاميه وعائلته، أكد فيها أن الوحدة الوطنية هي المنطلق الأول لاستعادة الهوية الفلسطينية . الأسير نائل عمل على بناء نفسه ثقافيا فهو قارىء متميزويمتلك ثقافة واسعة جدًا، ولم تستطع إدارة سجون الاحتلال بإجراءاتها وتنكيلها طمس ابداعه الثقافي، حيث تعلم اللغتين الإنكليزية والعبرية داخل السجون. ويعتبر نائل مرجعاً للأسرى لمحطات النضال الفلسطيني المتعددة فهو شاهد على العصر ، عصر الحركة الوطنية الأسيرة . ورغم عقود الأسر يبقى حلم الحرية يكبر فينا .. هذا لسان حال الشهداء مع وقف التنفيذ .. انهم اسرى الحرية البواسل .

المواطن
يومية إخبارية وطنية تصدر عن الشركة ذات المسؤولية المحدودة
نورث أفريكا نيوز كومباني
رأسمالها: 100.000 دج
الحساب البنكي رقم: 117500 24 400 107
السجل التجاري رقم: 0011894
المقر الرئيسي:
24 شارع خليفي محمد – حسين داي

محمد كيتوس
التحرير
الهاتف: 07 65 77 023
الفاكس: 07 65 77 023
الإشهار: 06 65 77 023
الموزع الصوتي:24 69 77 023

الإشهار
المؤسسة الوطنية للإشهار
الهاتف 28 71 73 021
وكالة الجزائر شارع باستور
الهاتف 78 76 73 021
43 30 73 021
الفاكس: 59 96 73 021

الطبع
SIA
التوزيع
شرق - وسط - غرب

ملاحظة
المقالات والوثائق التي تصل الجريدة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

الأسرى ليسوا أرقاماً

■■ بقلم: سميح محسن

في صباح اليوم الثامن من حزيران (يونيو) عام 1967، شاهدتُ جارتَنا، وهي امرأة طاعنة بالسنّ تعلق راية بيضاء على نافذة منزلها العتيق في قريتي. كنت في الحادية عشرة من عمري، وكان المشهد ملفت النظر للطفل، سألت الأكبر مني سنّا عن معنى ذلك، فقيل لي: "البلاد سقطت بيد اليهود"، وفي هذا الفعل دلالة على الاستسلام. وفي مقابلة صحفية أجريت معها، تقول شقيقة الأسير نائل البرغوثي، السيدة حنان، أنّه في "عام 1967 رفع معظم الناس رايات بيضاء فوق منازلهم، إلا نائل رفض، وصعد إلى سطح منزله واستعد لرشق آليات الاحتلال بالحجارة عند مرورها". عندما سقطت البلاد، كان نائل البرغوثي المولود في قرية كوبر، شمال مدينة رام الله، في اليوم الرابع والعشرين من تشرين أول (أكتوبر) عام 1957 في العاشرة من عمره، وبالتالي فإنني أكبره بالسنّ بعام ونيف. أذكر ذلك للدلالة على مسألتين، الأولى أنّه إذا فسّر معنى رفع الراية البيضاء، فذلك لكونه ابن عائلة فلسطينية لها تاريخ طويل في العمل السياسي والكفاحي، وبالتالي فإن لديه بعض إلمام بالعمل السياسي اكتسبه من بيئته، والثانية لإجراء مقارنة سريعة بين حياة إنسان حرّ طليق، وآخر قضى ما يزيد عن ثلثي عمره خلف القضبان، وبخاصة أننا أبناء جيل واحد. تفتّحت أعين جيلنا على الاحتلال الذي لم ينتهِ بعد. وعندما حدث بدأ وعينا الوطني بالتشكّل، ويوماً بعد يوم، بدأت خياراتنا تتبلور، فهناك من اختار طريق الكفاح المسلح، وهناك من اختار طريق النضال السياسي، وكلاهما دفع ثمن خياره، فملاحقة الاحتلال للمناضلين الفلسطينيين لم تقتصر على مَن اختاروا طريق الكفاح المسلح، بل طالت جميع مَن قاوموا الاحتلال بوسائلهم المختلفة، فأقتيد آلاف النشطاء الفلسطينيين من سياسيين ونقابيين وكتاب وصحفيين ...إلخ إلى معتقلات الاحتلال، وقضوا سنوات من أعمارهم في غياهبها. في التاسعة عشرة من عمري (عام 1975) غادرت البلاد للدراسة الجامعية، وفي التاسعة عشرة من عمره (عام 1978) أقتيد نائل البرغوثي إلى السجن، وحُكم عليه بالسجن المؤبد إضافة إلى ثمانية عشرة عاماً (حسب نادي الأسير الفلسطيني). وقد رفضت سلطات الاحتلال الإفراج عنه رغم إبرام العديد من صفقات التبادل بين سلطات الاحتلال الإسرائيلي وفصائل فلسطينية، وكذلك الإفراجات التي تمت في إطار المفاوضات بين السلطة الوطنية الفلسطينية وتلك السلطات، إلى أن أُفرِجَ عنه عام 2011 في صفقة التبادل التي أصبحت تُعرَف بصفقة (شاليط) نسبة للجندي في قوات الاحتلال، جلعاد شاليط، الذي أسِرَ من قبل حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عام 2006 وظل في الأسر لأكثر من 5 سنوات حتى تم الإفراج عنه. وفي عام 2014، أُعيد اعتقال البرغوثي إلى جانب العشرات من المحررين بالصفقة المذكورة. ذكرت أننا متجايلان، نائل البرغوثي أُقتيد إلى سجنه، وكانت له حياة، وأنا غادرت البلاد للدراسة، ثم للعمل، وكانت لي حياة بتفاصيلها المتشعّبة إلى أن عدت بشكل نهائي إلى فلسطين المحتلة عام 1991. عندما أتحدث عن هذه التجربة، وإن كنت لا أقلّل من الدور الذي قمنا به في سنوات الاغتراب، تلك السنوات التي شهدت محطات إنكسارات عديدة، إلا أنني أردتُ الإشارة إلى تعطّل حياة من هم بالأسر، واقتصار تلك الحياة على الحركة داخل غرفة مغلقة على أجسادهم، أما أرواحهم فقد كانت طليقة، وعقولهم كانت ترسم طرق الخلاص، لنا، ولهم من هذا الاحتلال الوحشي لبلادنا المقدسة، وشعبنا الصابر النبيل. أما نحن الطلقاء، وإن انخرطنا بالنشاط السياسي، فقد عشنا حريتنا، وإن كانت منقوصة، وكوّنا عائلاتنا، وعاش أبناؤنا بيننا، وتحت رعايتنا، وهذا الأمر حُرِمَ منه عشرات الآلاف من الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. كتبنا عن أسرانا البواسل في سجون الاحتلال، إلا أن تفاصيل حياتهم اليومية لا يستطيع تصويرها، والكتابة عنها بشكل دقيق وإنساني، إلا هم. نحن كتبنا ونكتب عن مناضلين دفعوا جلّ أعمارهم خلف القضبان، وجلّهم قضوا زهرة شبابهم محرومين من الحرية، إلا أن تفاصيل تلك الحياة بأبعادها الإنسانية، وتفاصيلها اليومية، لا يمتلك القدرة على توصيفها إلا من عاش تجربة السجن، وعذاباته، وما عدا ذلك يظل أسير المخيال، سواء من خلال تصوّر كيف تكون الحياة داخل السجن، أو من خلال تجميع ما اختزن في الذاكرة من قصص نسمعها من الأسرى الذين خرجوا للحرية. الأسير نائل البرغوثي نال حريته لسنوات قصيرة، ثم أعيد اعتقاله، وخلال تلك السنوات القصيرة حاول أن يعيش حياته الطبيعية، تزوج من الأسيرة المحررة إيمان نافع، وكفلاح، ذهب لرعاية أرضه والاعتناء بها، وتجديد زراعاتها بأشجار الزيتون، وكان يتطلع وزوجته لإنجاب طفل، وبناء أسرتهما الصغيرة، إلا أنّ الاحتلال حرمه مجدداً من هذا الأمل، ومن هذه الرغبة الإنسانية. قضى الأسير نائل البروغوثي أربعين عاماً من عمره في السجن. تظل هذه الجملة بلا معنى إلا إذا حاولنا تخيّل كيف قضاها في كامل تفاصيلها، ويوماً بعد يوم، وليلة بعد ليلة، ليكون لها معنى. إنّ حجز حرية الإنسان من أكثر العذابات الإنسانية إيلاماً، بغض النظر عن القضية التي كانت سببا في ذلك. وفي مثل حالة أسرانا، فإن هذه الآلام لا تتوقف عند حدود حجز الحرية، فهي تبدأ بسلسلة طويلة من العذابات، تبدأ بتعريض الأسير للتعذيب الجسدي والنفسي، ولا تنتهي بحرمانه من الحرية، وإهانة كرامته الإنسانية. إن تلك الحياة سلبٌ للحياة نفسها بكامل أبعادها الإنسانية.

علينا أن لا نتعامل مع قضية أسرانا في (باستيلات) العدو كأرقام، سواء من حيث عدد المعتقلين، ولا كأرقام من حيث عدد سنوات حرمانهم من الحرية. علينا أن نحوّل هذه الأرقام إلى حالات إنسانية، بكل ما فيها من تفاصيل. الأسير الذي سار في طريق النضال ضد الاحتلال يستحق نيل شرف البطولة على فعله النضالي في سبيل فلسطيننا وشعبنا، ولكنّ من حقه علينا أن نتناول حياته كإنسان، له آماله وتطلعاته، وله لحظات قوته وضعفه الإنساني. فهل نستطيع إنكار حالة ضعفه عندما يرحل أحد أجبته ولا يستطيع إلقاء النظرة الأخيرة عليه، وتقبيل وجنته؟

ألا يضعف عندما يشاهد والدته وبينهما حاجز زجاجي ولا يستطيع تقبيل يديها؟

ألا يضعف أمام طفله الذي لا يستطيع احتضانه؟ وألا يضعف عندما يتزامل مع ابنه الذي تركه طفلاً والتقيا كسجينين داخل زنزانة واحدة؟

الحرية للأسير البطل نائل البرغوثي
الحرية لأسيراتنا الماجدات، وأسرانا البواسل في سجون الاحتلال
الحرية لفلسطيننا المقدسة، وشعبنا البطل

■■■

■ كاتب وشاعر فلسطيني مقيم في نابلس

معتقل من زمن الأبيض والأسود

■■ بقلم: د.أحمد لطفي شاهين

في أبريل/ نيسان 1978 اعتقلت قوات الاحتلال الشاب الفلسطيني نائل البرغوثي من منزله في قرية كوبر شمالي رام الله بالضفة الغربية، وهو بعمر 19 عاما.. واتهمه الاحتلال بقتل طيار صهيوني، وحكمت عليه المحكمة العسكرية الصهيونية بالسجن المؤبد. وفي هذه الأيام يدخل عامه الثاني والأربعين في الاعتقال ودخل في العقد السادس من عمره، ويعتبر أقدم أسير سياسي في العالم. لكنه ينتزع الحياة من بين انياب عدو مجرم لا يعرف للإنسانية معنى .. ان من اغرب ما قاله المناضل المعتقل نائل البرغوثي للتدليل على عمق المعاناة مشيرا الى باب فولاذي اسود ثقيل : لقد شاهدت تغيير هذا الباب الفولاذي مرتين لأنه كاد ان يذوب من الصدأ وتلف الحديد .. لكن معنوياتنا لم ولن تتلف. صورة نائل بالأبيض والأسود الملتقطة له في بداية شبابه مع تسريحة الشعر التي اشتهرت في السبعينيات، لا تزال معلقة على جدار قديم في بيت والديه الذين ماتا قهرا اثناء اعتقاله بينما تقول شقيقته الوحيدة حنان أنها كانت في عمر 12 عاما عندما اعتقل شقيقها، وهي الآن تجاوزت الخمسين. وان الاحتلال يمنعها من زيارته وأضافت أنها تزوجت وأنجبت وصارت جدة، وما يزال اخوها نائل معتقلا ومن ابشع انواع الظلم أن يمضي اخوها أكثر من ثلثي عمره في السجون الصهيونية ومن العار ان يبقى العالم صامتا إذ لا يمكن لعقل بشري ان يتصور استمرار اعتقال انسان الى هذا الحد مهما كانت التهمة وكيف يبقى انسان معتقلا وقد تجاوز عمره الستين عاما .. اليس من حقه ان يتقاعد وان يسمحوا له ان يموت في بيته بين اخوانه واقاربه وللأسف ليس بين اولاده لان الاحتلال حرمه من فرصة الزواج والانجاب بسبب اعتقاله منذ شبابه بتهمة قتل طيار صهيوني،لقد كان نائل البرغوثي واحدا من مئات المعتقلين الذين شملتهم صفقة التبادل بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل عام 2011، بعدما قضى 34 عاما متواصلة في الأسر، إلا أن الاحتلال أعاد اعتقاله مع أكثر من 70 محررا في الصفقة بعد ثلاثة أعوام في انتهاك صارخ لمبادئ حقوق الانسان حيث لا يجوز ابدا اعادة اعتقال من تم الافراج عنهم بموجب صفقة تبادل حيث تعتبر اتفاقية دولية لكن الاحتلال الصهيوني يضرب بعرض الحائط كل المواثيق والأعراف والقوانين الدولية،تزوج نائل في فترة الافراج من (الأسيرة المحررة إيمان نافع) وبقلب موجوع تتكلم زوجته عن الأسابيع القلائل التي عاشاها معاً خلال فترة حريته القصيرة قائلة: "ارتبط نائل بالأرض فكان يحرثها ويزرعها ويقطف ثمار زيتونها بيديه ويعتبر شجرة الزيتون رمزاً للصمود الفلسطيني وخططنا للإنجاب عبر الزراعة ، ليحقق نائل حلمه في ابن يقول له : بابا، وهو الذي حرم لسنوات من قولها لوالديه، ولكن الاحتلال سرعان ما حرمنا من هذا الحلم.. وحُكم على نائل البرغوثي بالسجن 30 شهرا بعد اعتقاله الثاني دون اي تهمة، لكنه فوجئ بعد انتهائها بقرار إسرائيلي يعيده إلى حكم المؤبد السابق المؤبد المفتوح في مخالفة صارخة لأبسط قواعد القانون في دولة احتلالية لا تفهم الا لغة العنف والاستبداد . ولا يوجد في اي قانون في العالم كلمة مؤبد مفتوح الا عند الاحتلال الصهيوني حيث لا معايير قانونية ولا اخلاق انسانية في التعامل مع كل الشعب الفلسطيني وعلى راسهم المعتقلين الفلسطينيين وجثث الشهداء وسرقة اعضاؤهم فيما يسمى مقابر الارقام، عندما نقول امضى نائل البرغوثي 42 عاما في معتقلات الاحتلال فهذا ليس مجرد رقم يتداوله الساسة والمنظمات الحقوقية ووسائل الإعلام، وانما هو قضية إنسان وتاريخ حياة غابت عن التواصل مع البشر لأربعة عقود ويجب ان تحسبوها بالأيام والليالي وليس بالسنوات فقط حيث يمضي نائل البرغوثي محكوميته ويتنقل بين السجون والمعتقلات الصهيونية بشكل دوري واجباريا خوفا من قدرته الفائقة على اكتساب محبة المعتقلين بسرعة بسبب احترامهم الشديد له ويمضي اياما وليالي وشهورا في زنازين العزل الانفرادي وحيدا في ظلمات اقسى وابشع مما تتصوروا بهدف ايصاله الى الجنون والانتحار لكنه صامد يتاوم بصمت وبسالة ويوجه رسائله للعالم عبر المحامين، ويؤكد فيها دائما على أن المخرج الأول لتحرير المعتقلين وتحرير فلسطين هو الوحدة الوطنية، معتبرا أن الوحدة هي المنطلق الأول لاستعادة الهوية الفلسطينية، لم يقتصر الاعتقال والعذاب على نائل البرغوثي فقط ولكن خلال سنوات اعتقاله واجهت عائلته اشكالا من التنكيل الإسرائيلي، فقد اعتقل شقيقه عمر عدة مرات. وفي أواخر عام 2018 قتلت قوات الاحتلال ابن شقيقه صالح عمر البرغوثي، واعتقلت عاصم وهو شقيق الشهيد صالح، ثم اعتقلت والدهم عمر البرغوثي، وأفراد عائلته، وهدمت منزلين للعائلة، ورغم مرور 42 عام على اعتقال نائل البرغوثي إلا أنه لم يزحزح مبادئه الأولى التي اعتقل عليها ولا يزال يرفض الشراء من " كانتين " او بقالة السجن، باعتباره يدعم موازنة جيش الاحتلال، "ولا يزال يؤمن بقدرة شعبنا على تحرير فلسطين كاملة من البحر الى النهر ويؤمن بأن الوطن العربي وطن واحد لن تفرقه الحدود المصطنعة وانه سيتوحد يوما ما في مواجهة الصهيونية والامبريالية ... ولا يزال يبحث عن كيانه الإنساني والوطني والسياسي، وقد مرت عليه حروب واتفاقيات وصفقات، ولا يزال يتحدى السجان بابتسامته العريضة ونظراته الثاقبة و مقالاته ورسائله السياسية والأدبية والفكرية أثناء تواجده في السجن.

الشبكة العربية للثقافة والرأي والإعلام

نائل البرغوثي و بيت البيت:

أعداؤنا يرثون سجوننا ونحن نرث شهداءنا

■■ بقلم: لينا أبو بكر

إن أردت أن تحكم على الثقافة الأخلاقية لكيان ما ، فعليك أن تتعرف على سجونه ، وتاريخها ، ولنأخذ هتلر على سبيل المثال ، الذي كان سجينا مدللا وباذخا في سجن " لاندسبرغ " حين اشترك في العملية الانقلابية التي تسمى انقلاب هتلر أو انقلاب بير هول ، عام 1923 ، حيث تم تجهيز زنزانة بما يتجاوز معايير زمنه ،فعلى طول الحائط و عرضه تمتد نوافذ رحبة ، ومكتب خاص بمزهرية تحمل دفاتره قبل زهوره ،حيث ألف هناك كتابه ، وصناديق تصل له بها رئاسل معجبيه ، ثم قوارير كحوله المنتقاة إذ كان يشترى في أقل من شهر أكثر من ستين قارورة بيرة من حجم نصف لتر ، ويخرج بتقارير طبية تختم على تشخيصه الذاتي لوضعه الصحي على اعتباره جنرالا مضادا للكحول ، وليس هذا فقط بل إن زنزانته تحولت إلى متحف لباكورة مجده ، في حين يختلف الأمر تماما عن السجون التي أعدها لأعدائه الذين كدسهم في مخازن تعشش فيها الجرذان وفي أقبية يغلفها الظلام ، يتلقى بها هؤلاء أساليب تعذيب وانتقام من أتباع يهوه والمشليين والأقليات غير القومية ، أو العناصر العرقية التي لا يكن لها احتراما يذكر ، فأين الغرابة في ذلك ؟

ما يدهشك حقا من كل هذا أن ورثة هتلر الحقيقيين ليسوا أبناء قوميته بل ضحاياه ، وهو ما يجعل الضحية أكثر جرائمية من جلادها ، الذي تعيد إحياءه و تكرس لجريمته حين تضاهيها جرما، حتى كأنها تتبناها أكثر منه، ما يعبر عن مازوشية مرضية ضمن معادلة التجاذب المغناطيسية الأقطاب !

حين ترث الضحية جلادها ، تبارك جريمته ، و تؤكد على افتتانها بها لا مناهضتها لها ، وما تحويلها إلى مشروع تعويضات سوى استغلال تجاري لها ، لا يبالي بالتضحيات و الآلام بقدر ما يدخرها كمكتبسات بنكية و استثمار أو بزنس !

سجون إنجلترا القرن الثامن عشر ، أشبه بمستعمرات أكثر منها مراكز للتأهيل أو العقاب حتى ، اكتظت بالتجار والدائنين والنشالين ، و أحكام القضاء الصارمة والعنيفة ، وقد تكون البوابة الجديدة للقلعة الإنجليزية أكثر السجون شهرة من حيث أعداد سجنائها و طرق التعذيب التي يتم عرضها في أشهر متاحف لندن برؤى فنية و مؤثرات حديثة ، تعكس حجم القهر والاضطهاد الذي تعرض إليه السجناء آنذاك .

السجون كانت خزائن صغيرة في الأرياف أو أقبية لخزائن القلاع في المدن ، أو في المستعمرات أو السفن القديمة التي خرجت من الخدمة ، وكانت غالبا ما ترسو على أرصفة لندن ، حيث أطلق عليها هياكل السجن ،تأوي المحكومين في الأشغال الشاقة على الأحواض وجرف نهر التايمز..وهي صورة تناسب العصر الذي وجدت فيه ، بكل ما يمثله من همجية و تشرد و جهل وافتقار لروح الدولة الحديثة التي تستند إلى مفاهيم العدالة والحرية واللافساد .

السجون تتطور جنبا إلى جانب بتطور القوانين وبتطور الجرائم أيضا ، وأساليب العمارة الحديثة ، و أساليب التعذيب ، حتى لتغدو السجون ذاتها بِزنس ولذلك كان سجن الباستيل بالنسبة للويس الرابع عشر هو خزينة بيت المال و صندوق الكنز ، بزنس السجون مثل بزنس الموت ، والحياة ، و التاريخ والجغرافيا واللغة والدين ، إنها حضارة أبناء الدولار : التنين الأخضر ذي اللحية البيضاء ، والحكمة السوداء !

هناك كيانات عصاباتية تحصن نفسها بالزنازين و السجون (ما أضعف الحصون) ، و تقيس نسبة قوتها بأعداد سجانيها ومساجينها ، وهناك دول حضارية تقيس عظمتها بنسبة أحرارها وقوتها بأبطالها و مجدها بذكرى تحطيم باستيلاتها ، وقد تعطيك الأرقام نبذة عن مصير السجون ، فمثلا سجن الباستيل الفرنسي الذي يعتبر أكثر السجون رعبا في التاريخ ، و الذي استغرق بناؤه 12 عاما ، بثمانية أبراج معلقة ، ظل صامدا منذ القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر 800 سجينا ، و اعتبر وقتها قصرا وواجهة مشرقة للملكية الفرنسية ، ولكن حين ازداد عدد السجناء ، حتى فاق ال5000 سجينا ، بين القرن السادس والثامن عشر ، تهاوى على سجانيه ، وأصبح رمزا للطغيان والقهر ، ويعد يوم سقوطه في يد الثوار العيد الوطني للحرية في فرنسا !

تغير التاريخ حين اختطف الصهاينة فلسطين من أهلها ، وحولوا البلاد إلى أكبر معتقل في تاريخ الكوكب منذ بدء الخليقة ، ضمن استيراتيجية ملعونة وخبيثة حبست الفلسطيني في بيته ، أو حيه أو مدينته ، في البوسطة ، وفي غرف التحقيق والزنازين الانفرادية ، في الصحراء و الخيام البلاستيكية المسرطنة ، في قطاعه ، أو مقاطعته ، في مسجده أو صلاته ، في مدرسته ، في مكتبته ، حقله ، عرسه ، عيده ، رمضانه .....الخ الخ ، السجن أصبح حالة ، وليس فقط مكانا أو حيزا ، وكل مكان يعتبره الفلسطيني مجالا من مجالات الحرية ، يضيقه عليه سجانه ، وهو أخطر أنواع السجون على الإطلاق !

في زمن ، تستطيع الجريمة فيه أن ترى العالم دون أن يراها ، ما الذي ستحتاجه سواها لتدل عليها ؟ و إليك الدليل :

نائل البرغوثي أقدم سجين وصاحب أطول فترة سجن في العالم ،امتدت لأكثر من أربعين عاما ، وانضم لموسوعة غينيس للأرقام القياسية، فهل هذا يكفي لكي ندين المجرم ؟ أم لكي نبرئ البطل ؟!

فلسطين ليست هي السجن الأكبر ، لأن الفلسطيني أكبر من السجون ، الفلسطيني حول سجنه إلى ساحة مواجهة مع سجانه ، حوله إلى ثكنة ، إلى دار للعلم ، إلى جبهة ، انتصر على سجنه حين سجن سجانه ، و انظر إلى نائل البرغوثي ، الذي لم تكف مؤبداته سجانَه لكي يسجنه ، فكم سجنا تم نقله إليه ؟ كم عمرا اختطف منه ؟ كم فرحة ، كم فسحة ، كم صفقة ، كم برهة ، كم ومضة ؟ من الذي تعب من السجن أكثر ، الأسير الذي يعد العدة لحريته ، أم السجان الذي أضناه اجترار المزيد من القضبان والسلاسل والأحكام لحصار أسراه ؟

أجمل ما يدهشك في الحالة الفلسطينية ، أن نائل البرغوثي أورث سجنه لسجانين جدد ، يتولون ذات المهمة التي قام بها أجدادهم من أربعين عاما خلت ، السجون إذن ليست تركة فلسطينية ، بل ميراث صهيوني ، لأن الفلسطيني الذي شب و شاب في السجون لا يرث أعداءه بل شهداءه ، وأبطاله ، حتى ليتحول الأسر إلى مجد ، وليس إلى حد –كما أردا له السجان أن يكون !

حسنا إذن ، فلسطين تقلب السحر على الساحر ، وتغير التكتيتك ، فالأسير نائل البرغوثي الأعزل ، الذي قضى أكثر من أربعين عاما وراء القضبان ، غدا أكبر من الزمن ، كيف ؟

لم يعد عمره يكفي عدوه ليعاقبه به ، ولذلك ضاعف العدو المؤبدات ، التي يعلم بطبيعة الحال أن عمر نائل (بمعدله البشري الحقيقي) لن يتسع لها، وبذلك يصبح العمر الواقعي أقصر من الحكم المجازي ، بمعنى أن الحركة الطبيعية للزمن ستسقط المؤبدات الجنونية تلقائيا:

هذا أولا .

ثانيا : يغدو السجن أدعى لترسيخ حق الأسير بالحرية ، فهو يظل بطلا طازجا وراهنا وفاعلا ومُحركا لكل فئات الشعب طالما أنه في السجن ، وحين يخرج من السجن يجند نفسه للدفاع عن حرية زملائه وراء القضبان ، وهذا انتصار مضاعف على الزمن الستاتيكي ، سواء داخل السجون أو خارجها.

ثالثا : يتمجد الأسير ، ليس برفاهيته ، إنما بحرمانه ، فكلما سلب السجان من الأسير كل أساليب الترفيه والرحمة ، كلما زاد صموده وثباته ، لأن الحرب كما يقول الأسرى هي حرب كسر إرادات ، وأجمل تجليات النصر الفلسطيني فيها ، أن العدو حين يهزمه الواقع ، يجنح إلى صيغة أحكام مجازية ووهمية ، تضاعف من هزيمتة ، حين يصبح السجن كمكان أو الحكم كتمثيل زماني ، غير كافيين لاعتقال الشجعان ....شايف ما أضعف السجان !

رابعا : أن يدخل نائل البرغوثي موسوعة غينيس للأرقام القياسية ، فهذا يعني أن الأسير يدين الجلاد ولا يرثه ، و أنه لا يتاجر بزمنه بل يباهي سجانه به ، خاصة أن الحق لا يعزل صاحبه بل يحرره حتى لو حاول عدوه أن يخفيه وراء الشمس .

خامسا : أما وقد اختطف السجان نائل البرغوثي من كوكبة الأبطال المحررين بصفقة الأحرار ، فقد أثبت أن حضارة السجون عند الكيان الصهيوني ، هي حضارة لا تستند إلى منظومة قانونية أو بروتوكولات واتفاقيات ملزمة ، بل إلى ثقافة الجريمة و الإخلال بالمعاهدات والالتزامات الدولية والقانونية .

سادسا : حين يخرج نائل البرغوثي لفترة محدودة من السجن فينتمي إلى جامعة القدس المفتوحة ، و يدرس علم التاريخ ، ثم يتزوج من أسيرة محررة ومناضلة وبطلة تعنى بقضية الاسرى ، وناشطة في مجال حقوقهم الإنسانية العادلة والمشروعة ، فهذا يعني أن السجن لم يقمع الحرية و لم يقهر الأسير ، أو يجهله ، بل شحذه و زوده بدفعة قوية للاستزادة من العلم و المعرفة ، و لإتمام رسالة الحياة و تكوين عائلة تحمل لواء المقاومة .

سابعا : مراكز التأهيل للمجرمين ، والسجون لمعاقبة الخارجين عن القانون ، أما في فلسطين فهي جزر الشيطان " الاحتلال " التي تهدف للانتقام من الأبطال ، و نفيهم في مدافن الأحياء ، و لأن السجان لا يتعامل مع متهمين ، بل مع أساطير بطولة ، فإن السجن لا يمكن أن يوقف البطل عن ممارسة بطولته ، بل بالعكس ، يصبح السجن مجالا حيويا لممارسة هذه البطولة بتحليات مختلفة وضمن مراحل زمنية لانهائية.

ثامنا : حرية نائل البرغوثي ، ليست شخصية ، ولا آنية ، ولا ترتبط بمزاج مؤقت ، إنها امتداد لتاريخ طويل من التضحيات ، ففي حين يهرب المعزولون في زمن الكورنا من فيروس بالكاد يُرى بالعين المجردة ، وتصيبهم حالة ملل من الاحتماء ببيوتهم لأنها غدت زنازين لهم ، ولا تكفي رغم ما فيها من أساليب الرفاهية ، ورغم جو العائلة لكي تشعرهم بالحرية ، فإن الفلسطيني قد يكتفي ببيته لو خرج من سجنه ليحتفي بحريته ، وهذا سحر المفارقة ، العالم ضاق ذرعا بأيام معدودات من الحصار في سبيل الحظر الصحي كأسلوب من أساليب الوقاية ، بينما تغدو حياة الفلسطيني وحريته ، افتداء يوميا ومتجددا في سبيل بلاده وشعبه .

يا نائل البرغوثي ، شوف كم مرة انتصرت على عدوك ، وكم مرة غظته ، فهو يحتمي منك بسجونه وأنت تحمي شعبك وتفديه بحريتك .

عدوك يحاول إخافتك بتجهمه في وجهك ، لأنه يخاف من صورتك التي تبتسم بها في وجه شمسك .

عدوك يختطف منك حريتك ، وأنت تهبها لأحبابك وشعبك و بلادك .

عدوك لا يعرف سوى الحرمان ، وأنت ، لم يزدك حرمانه إلا حنانا !

عدوك يقسو ليطور أدوات سجنه، فتفتفت إرادتك حجريته ، وأنت ترق ولا تلين فيستحيل عليه كسرك .

يا نائل البرغوثي ، أنت تحلم ، وعدوك يرى كوابيسا ، أنت تخطط لمستقبل وطني مشرق و حر و عدوك يعصر سمه ليتآمر على حريتك بما أوتي من سوداوية وشره للعتم .

يا نائل البرغوثي ، أنت ابن شعب ينتصر على الوجود بالخلود ، وعدوك ابن سلالة التيه ، وفكر العدم .

يا نائل البرغوثي ، لقد اقتسمت حريتك مع أسيرة فلسطينية حررتها مرتين : لما دخلتْ قلبك وأنت أسير ، ولما دخلتْ بيتك وأنت حر ، طوبى لإيمان نافع بك ، وطوبى لك بها .قادة وعسكريون ، يتدربون ويدربون فينهزموا ، وأنت وحدك جيشك ، ووحدك ذخيرتك ، إنك الواحد البلد ، و البطل الأسد ، و الأسير السند ، والعنيد بالجلد والشديد في الأشد ، الذي يغار منه عدوه حين يفشل باختطاف نموذجه، يعاقبه ، ويغار منه صاحبه، فيحذو حذوه ويشابهه . سجنك يصغر وينحسر ، لأن بيتك يكبر ، وحنين قلبك يزدهر ، سنوات عمرك غيمات خضراء في حديقة منزلك ، و حضنك وسادة عطشى على سرير الحب ، والحب العطشان لا يبس ولا ينتابه الذبول ، بل تنعشه رشة سما تهفهف فوق بيت البيت ...وهيلا هيلا يا حرية !

درهم شرف ولا بيت مال

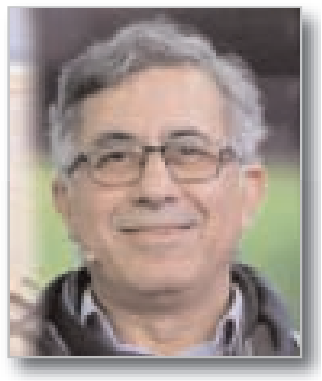

■■ بقلم : حسن عبادي
فلسطين - حيفا

العيد الحقيقي للأسرى وأهاليهم يوم تحرّرهم ولقاء أحبّتهم؛ في العادة، نستقبل العيد بالبهجة والسرور، إلّا الأسرى وأهاليهم يستقبلونه بالدموع والألم، بحسرة الفراق، حرقة وحرمان اللقاء... يجدّد الألم ولهيب الشوق؛ في العيد، يشعر الأسير بالوحشة والغربة والحنين، والشوق لكعك وقهوة أمّه. تحضّر الأم الكعك وتجلس باب البيت بعيون دامعة وغصّة في قلبها تنتظر غاليها لتُطلق الزغرودة وتقدّم له كعكة العيد. المرحومة فرحة البرغوثي توفيّت بحسرتها؛ منذ اعتقال نجليها نائل وعمر؛ لم تذق طعم العيد وكعكه. لم تفتها تظاهرة أو اعتصام بخصوص الأسرى، قضت أكثر من نصف سنواتها على مقاعد حافلات الصليب الأحمر لتتنقّل من سجن إلى آخر من سجون الاحتلال لتزور نائل وعمر، ومن ثمّ حفيداها عاصف وعاصم وأسرى آخرين. من خلال تواصلي في السنة الأخيرة مع أسرى كثيرين تبيّن لي أن فقدان الغوالي دون وداع هو العذاب الأكبر خلف القضبان، يؤلمه قسوة سجّانه الذي يحرمه من وداع فقيده الذي انتظر عناقه حرًا لسنين طويلة، وخاصة فقدان الوالدة فلَهُ وقع خاص؛ هي التي واظبت على زيارة ابنها كل فترة اعتقاله وسجنه، كانت حبل السرّة بينه وبين العالم الخارجي، فالأب له انشغالاته وكذلك الأخوة والأخوات، كلّ وشؤونه، أمّا الأم فتعيش اللحظة بين زيارة وأخرى، تذوق العذاب بتنقّلها من سجن لآخر للقاء غاليها، كلّ لقاء رحلة عذاب مُرّة وقاتلة (بتقصّر العمر، كما قالت لي والدة أسير صديق)، تلتقيه عبر حاجز مقيت وسمّاعة حديديّة باردة، ترافقها بقجتها، فهي تحرص على أن تحيك له جارزة أو تشتري له ملابس جديدة، دون أن يُسمح لها باحتضانه أو تقبيله، تختبره كلّ شاردة وواردة بما يجري خارج القضبان، ولادات جديدة للأقارب والمعارف، زيجات ووفيّات، وعروس انتقتها له لتزوّجه ساعة تحريره عساه يعوّضها بأحفاد. كتب الصديق بسام الكعبي في كتابه "جمر المحطات" نصًا سرديًا مفتوحًا عنونه "فرحة تزرع الأمل" وجاء فيه: "في معتقل عسقلان وقبل منتصف ليلة الثامن عشر من تشرين أول 2005 ، همَسَ الأسير نائل البرغوثي بقلب قدّيس لشقيقه الأسير عمر: صوت الحاجة سيرتفع بعد قليل عبر أثير الإذاعة. لم يكد ينهي جملته حتى أعلن مقدّم أحد البرامج عن اختتام برنامجه بمكالمة هاتفيّة أخيرة. عندئذ دوى صوت فرحة البرغوثي الجبليّ بقوة لامست قلبي نجليها نائل وعمر، وقلوب رفاق الكفاح في غرفة الاعتقال، ففتحت نافذة أمل في جدار زنزانة صماء حيث قالت: درهم شرف ولا بيت مال يا أحبّاء قلبي. سلامي لكل أسرى وأسيرات الحريّة، والأمل كبير بقهر السجّان والإفراج العاجل يا أحبّائي" أطلقت وصيّتها الأخيرة عبر الأثير ورحلت بعد مضيّ أربع ساعات على وصيّتها وتمنيّاتها لأسرى الحريّة، أطلقتها عبر أثير برنامج إذاعي متمسكّة بالأمل لتحطيم قيد السجّان.

لك عزيزي نائل أحلى التحيّات، الحريّة لك ولجميع أسرى الحريّة، على أمل أن نلتقي في حيفانا.

نائل البرغوثي أربعون عاماً تاريخ وقضية وهوية وانسان

بقلم: د. فيصل عبد الرؤوف عيد فياض

الفدائي "أبو النور" هو الاسم الحركي الذي يطلق على فارسنا اليوم الأسير البطل/ نائل البرغوثي، هذا الفدائي الفلسطيني القمة والقامة والذي اعتقِل عام ألف وتسعمائة وثمان وسبعون"1978م" حيث حُكم عليه بالسجن المؤبد في قضية قتل لأحد الصهاينة ليبقَ في السجن يُعاني الظلم وأقسى أصناف العذاب، حتى يتنفس نسيم الحرية ويتم الإفراج عنه في صفقة "شاليط"، ثم يُعاد اعتقاله بعد واحدٍ وثلاثون"31" شهراً من الإفراج عنه، ليُجَدَدْ حكمه المؤبد في سجون الاحتلال الغاشم، هذه الشخصية القوية والتي كانت أحد ركائز ملحمة الأسرى وبطولاتهم المستمرة في تحدي الظلم بكافة أشكاله داخل سجون الاحتلال الغاشم، اليوم نحن أمام قمة وهامة عالية من هامات الأسرى والذي أعلن إضرابه عن الطعام في سجون الاحتلال الإسرائيلي مراتٍ متكررة احتجاجاً على سياسة الاعتقال الإداري، أسيرنا البطل أمضى أربعون "40" عاماً في الأسر معلناً بأن روحه فداءً لله ثم الوطن فلسطين. اليوم يُسجل كل فلسطيني وطني اعتزازه واحترامه وتقديره لكافة الأسرى الميامين والأسيرات الماجدات، فهم عنوان الدفاع عنا وعن كرامتنا أمام عنجهية المحتل الغاشم، نقف أمامهم إجلالاً وإكباراً، الأسير القائد البطل/مروان البرغوثي والأسير القائد/كريم يونس/ والأسير القائد/ فؤاد الشوبكي والأسير القائد/أحمد سعدات والأسير القائد/ رائد السعدي وكافة أسرانا الميامين وأسيراتنا الماجدات، مدافعين عن قضية وطن لطالما حلموا بتحريره من دنس الاحتلال، مستبشرين بغدٍ جميل، من دفعوا فاتورة الوطن من حريتهم الغالية، وسطّروا صفحات المجد والفخار لوحدهم ودون منازع في تاريخ الوطن المسلوب. نجمنا "نائل البرغوثي" انتصر بروحه ومعنوياته الفولاذية وحبه لأرضه ووطنه على سجّانه في عدة معارك متتالية لإنهاء العزل الانفرادي، ولإسماع صوته القوي للعالم أجمع بأن قضية الأسرى الفلسطينيين والعرب لن تُنسى ولن تسقط بالتقادم أبدا، وأنه ضد قرارات الاحتلال وسجانيه المجرمين، حيث قاد مع رفاقه في الأسر–وما زال–معركةً نضاليةً تاريخيةً مشرفة، معلنين بأنَ الوقت قد حان لأن تنتهيَ قضية الأسرى بكافة حيثياتها وأن يتم الإفراج عن كافة أسرانا وأسيراتنا الأبطال. اليوم، ولسان حال الأسير "نائل البرغوثي" ورفاقه القادة بأن:« الوَحدة الوطنية في خندق المواجهة الواحد، هي المنطلق الأول لاستعادة الهوية الفلسطينية التي يحتاجها الأسرى في كافة معاركهم النضالية، محافظين على الثوابت الفلسطينية".أربعون عاماً ليست مجرد رقم يتم تداوله، بل هو تاريخ وقضية وانسان ورسالة وطنية هادفة تقول للعالم أجمع بأننا شعبٌ لا ولن ننسَ وطننا وأرضنا ونفديهما بالدماء والحرية بيقين وإيمان راسخ بأن النصر لنا بإذن الله.

وأخيراً، مجداً للشهداء، وحرية للأسرى، وشفاءً للجرحى الميامين

نائل البرغوثي ـ أبو اللهب عاشق الورد .

■■ بقلم: أحمد طه الغندور

على عادة الأسر العربية العريقة، حرصت عائلة " البرغوثي " العربية ـ الفلسطينية أن يرث أبناؤها حب الوطن، والاستعداد للتضحية من أجله في جيناتهم الخاصة، فهذه العائلة التي تعكس كافة أشكال الطيف السياسي والمعرفي الفلسطيني من خلال أبنائها المتميزين والبارزين في كافة الفصائل والتيارات الفلسطينية، كانت الحاضنة الطبيعية لشخص ضيفنا لهذا اليوم؛ وهو الأسير القائد " نائل البرغوثي ".وُلد " نائل " في 24 اكتوبر 1957، وهو يعتبر أقدم أسير في العالم، حيث قضى ما يعادل من ثلثي عمره أو يزيد في معتقلات "الاحتلال الإسرائيلي"، حيث جرى اعتقاله في الرابع من أبريل/ نيسان عام 1978، الأمر الذي كان السبب الرئيسي في وفاة والده في أكتوبر 2004، ثم والدته بنفس الشهر لسنة 2005، كأن ذكرى الاعتقال في "أكتوبر" كانت تحمل في طياتها الأنفاس الأخيرة لوالديه! فقد كان " نائل " كان شعلة من النضال، يقود التظاهرات ودائماً ما يكون في الصفوف الأولى في مواجهة "الاحتلال"، حيث أطلق عليه رفاق دربه لقب " أبو اللهب "؛ نسبة إلى شخصيته القيادية الثورية. وفي الأسر أصبح يُعرف بكنية جديدة وهي " أبو النور "! جرى اعتقال " نائل " للمرة الأولى خلال إحدى المواجهات مع الاحتلال في الثامن عشر من ديسمبر عام 1977 وحُكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر، وعقب الإفراج عنه بـ 14 يوماً، اعتُقل بتهمة مقاومة الاحتلال، وقتل أحد جنودها برفقة رفيقه " فخري البرغوثي "، ليصدر بحقهما حكم بالمؤبد و18 عاماً، وكان عمره وقتها لا يزيد عن تسعة عشر عاماً. ويشاء القدر أن يكون " نائل " على موعد مع الحرية مخ خلال "صفقة الأسرى " في العام 2011، وبعد خروجه من السجن تزوج من " المحررة " السيدة/ إيمان نافع والتحق بجامعة القدس المفتوحة لدراسة علم التاريخ، حيث رفض في فترة الاعتقال الالتحاق بالجامعات الإسرائيلية للدراسة. لكن "الاحتلال" المتربص بكل حر؛ اعتقل " نائل "مجدداً في الثامن من يونيو 2014 بعد خطاب ألقاه بجامعة بيرزيت، وقد تم الحكم عليه لمدة عامين ونصف، ولكن دام اعتقاله لما بعد تلك الفترة وحتى يومنا هذا، بسبب رغبة "الاحتلال" الانتقامية في اعادته لقضاء حكمه القديم بالمؤبد، بلا أي تهمة جديدة وتحت بند "ملف سري"! تحدثنا السيدة " إيمان " عن زوجها الذي أمضت برفقته 31 شهراً قائلة: " " أنا الوحيدة التي أزوره، فمنذ استشهاد ابن شقيقه صالح البرغوثي، منعت شقيقته حنان من زيارته، وحتى الأطفال ممنوعون، وكأنهم يريدون ألا يعرفه أحد"! وتضيف: " منذ أن تزوجنا، كان " نائل " يخرج من المنزل بعد صلاة الفجر، يذهب إلى الأرض فهي مقدسة بالنسبة إليه، يفلحها ويزرعها، يحب الأزهار والورود، التي تنتشر في الجبال، وكان على قناعة بأنه يجب ألا تقطف وأن تبقى في مكانها".ولكن " نائل " إلى الأن لم يستطع أن يأكل من ثمار أشجار البرتقال والليمون التي زرعها قبل أن يعيد "الاحتلال" اعتقاله، كما لم تفلح محاولات زوجته المتكررة بإدخال بعض هذه الثمار إلى المعتقل! لكن " نائل "- أبو اللهب ـ أبو النور ـ عاشق الورد ـ الذي لم يفقد ثقته بالله، كما لم يفقد ثقته بوطنه وشعبه وعدالة قضيته، وبأنه لا بد للقيد أن ينكسر، لا زال في عرينه كالأسود يردد مترنماً:

-

فاتّعظ يا قلب ذا حال الهوى
واستعذ بالحب من ان تركعِ
وتوَخّ الحِذرَ انّى رُمتها
واحترس من مأمنٍ ان تُخدَعِ
فالهوى يودي إذَا ما جئتَهُ
طامعاً مستسهلاً بالمَطْمَعِ
ربّ قلبٍ ينزوي في غفلةٍ
يَتردّى لوَخيمِ المرتعِ.

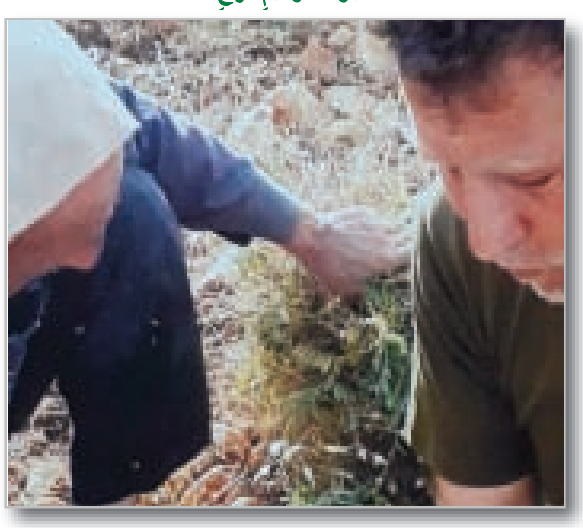

شقيقته حنان : نائل الأسير الوحدَوي كزيتون بلادنا جذوره منغرسة في الأرض وشامخ لا يذل ولا يركع ومازال يعطي نفسه وكرامته رمز للعطاء.

زوجته المحررة إيمان نافع : صاحب مدرسة الصبر الفلسطينية قادر على قهر سجانه وكسر قيده وانتزاع حريته ..

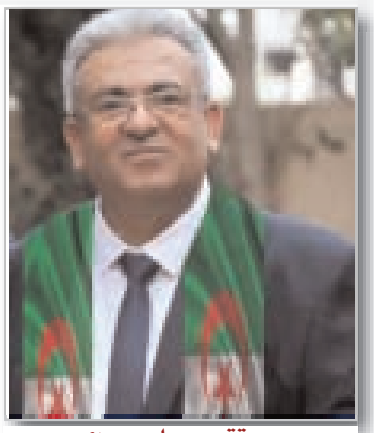

■■ تقرير: علي سمودي
جنين ، كوبر ، رام الله

يتسابق الكثيرون لتسجيل أسمائهم وألقابهم وابتكاراتهم في موسوعة "غينيس" للأرقام القياسية، ويتفاخرون بمشاركتهم في عدد من المسابقات العالمية، ويتنافسون لتصدر عناوين الصحف العالمية والعربية والمحلية وكافة وسائل الإعلام، أما أسرانا داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي فيتسابقون فقط للتضحية والعطاء في سبيل حرية شعبهم وأرضهم وكسر قيدهم وإعلاء دعواتهم باجتماعهم قريباً مع عائلاتهم في ظلال الحرية ... أسرانا اللذين بعطائهم وصمودهم وتضحياتهم يستحقون أن تبتكر موسوعة خاصة باسمهم لعلها تنصفهم وتكرمهم، لا يبحثون عن صدارة عناوين الصحف وإن كانوا الأولى بذلك، ولا يسعون لبريق إعلامي مزيف يحرف بوصلتهم، ولا يسعون خلف أوسمة ونياشين بينما تدفن تفاصيل قضيتهم وحكاياتهم بين دفاتر النسيان ودهاليز الزمن وممرات الشطب والتأجيل ،لتستمر رحلة الآلام بانتظار فجر الحرية و العيد الحقيقي .. الذي تبدأ حدوده بحريتهم التي يرفضون المساومة عليها أو التنازل عنها أو التفريط بها. وفي يوميات رحلة المنفى المستمرة في صحارى ومدافن الموت البطيء المفتوحة على مصراعيها في مسلسل حياتهم المليئة بأحزان تتجدد كل لحظة، ورغم كل محاولات جعلهم مجرد أرقام، تعتبر المناسبات والأعياد ورحيل الأحبة .. أكثر محطات حياتهم مرارة وحسرة، كل بني البشر على امتداد الكرة الأرضية باختلاف مذاهبهم وعقائدهم ولغاتهم وجنسياتهم يفرحون ويحتفون بأعيادهم ومناسباتهم كل على طقوسه وطريقته وعاداته، إلا أسرى فلسطين ومنهم عمداء الأسرى في السجون التي لم تعتقل أجسادهم وحريتهم بل اعتقلت أعيادهم التي هي رهن الأسر، تنتظر وهم ينتظرون وأمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم وذويهم، كل هؤلاء يفتح السجن جراحا جديدة في حياتهم مع فجر كل عيد ، فتبكي القلوب قبل العيون ويكون للعيد معنى وطقوسا أخرى تغيب عن عقول وأذهان كل البشر.

■■ الجزائر وعميد الأسرى..

وتكريما لهم ووفاءاً لرسالتهم، اختارت " الجزائر " أن تكون مع ذوي عميد الأسرى الفلسطينيين والعرب بل أقدم أسير في العالم ، الأسير نائل صالح عبد الله البرغوثي ، الذي فقد في رحلة الاعتقال الطويلة ، الأب والأم بعدما غاب الفرح و العيد عن حياتهم منذ اعتقاله شاباً يافعا وطالبا مجتهدا في الثانوية العامة قبل 42 عاما، ولكن شقيقته حنان التي تصغره بعام فقط مازالت ترسم للعيد شكلاً آخر في حياتها، فللعيد كما قالت "معنى وشكلاً وطقساً خاصاً ، لان أجمل الأعياد عندما يتحرر شقيقي نائل وأراه في المنزل والغرفة الخاصة التي انتظرته فيها أمي .

■■ طقوس مختلفة..

يتساءل الكثيرون عن طقوس الاحتفال بالعيد في بيت الأسير المحرر نائل البرغوثي ، وهل للعيد طقوس مختلفة لديكم؟ سألنا حنان "أم عناد "، فأجابت: "منذ صغري لم اعرف طعم ومعنى العيد, نحن كنا ثلاثة أبناء أكبرنا عمر ويليه نائل وأنا وقبل أن نعيش مرحلة الشباب, انتزعهما الاحتلال من بيننا وزجهما في غياهب السجون." وأضافت: "مرت الأعياد ونحن ننتظر ، ولن أنسى والدتي المناضلة والشاعرة فرخة و التي كانت ورغم قوة عزيمتها ، عندما يأتي العيد تدخل لغرفتها التي تتزين بصور نائل وعمر وتتحدث إليهما، تعايدهما وتخاطبهما وتصل الصلاة بالدعاء حتى إنها كانت ترفض أن يقترب احد من تلك الصور وهدايا نائل التي كانت تمضي وقتا طويلا بينها خاصة عندما منعت من زيارته لفترة طويلة"، وتابعت: " في الأعياد عايشنا ومازلنا أيام عصيبة ، خاصة عندما قررت سلطات الاحتلال منع والدتي من زيارة نائل بدعوى انه لا يوجد صلة قرابة, خمس سنوات وأعياد عشرة مرت وأمي تتألم لان السلطات الإسرائيلية تطالبها بإثبات صلة قرابة بابنها، وبعد عذاب وتدخل عدد من المؤسسات كانت آخر زيارة لها بعدما تدهورت حالتها الصحية عبر سيارة الإسعاف وفارقت الحياة وهي توصينا بنائل.

■■ ألم متجدد..

تقول أم عناد " على مدار السنوات الماضية ، شكل رمضان والأعياد وكل المناسبات ، بالنسبة لنا مناسبة للحزن ، لغياب نائل وعمر ،كما يؤلمني أنني في العيد الحالي, أفتقد شقيقي عمر مجددا فالاحتلال لم يتوقف عن اعتقاله وابنائه "، و تضيف " في العيد كانت هدية الاحتلال لنا تحويله للاعتقال الإداري وكان ما أمضاه من سنوات خلف القضبان تجاوزت ألـ 22 عاما غير كافية ليواصلوا اعتقاله وحرماننا منه.

■■ 82 عيداً بالأسر ..

نائل أمضى في السجن 82 عيداً, كما تروي " أم عناد" التي تنشط في قضايا الأسرى وتتابع دائما قضية شقيقها الذي دخل عامه ال 41 في الأسر ، تقول : "أنا اشتاق لهما وخاصة نائل الذي لم احصل منه على عيدية منذ اعتقاله، صحيح أن عيديته لم تنقطع وكان أبي وأمي يسلماني عيدية خاصة منه ،ولكن كل ذلك لن يعوضني عن عناقه", و تضيف " خلال العيد عندما كان يزورني أبناء عمي لم أكن احتمل الألم الذي يمزق قلبي, وكنت أتمنى أن يكون نائل وعمر بينهم لاحتضنهما وهذه ستكون أجمل هدية عيد.

■■ الأسير الوحدوي ..

بفخر واعتزاز ، وصفت حنان ، شقيقها الحنون نائل ، قائلة " نائل .. الأسير الوحدَوي كزيتون بلادنا جذوره منغرسة في الأرض وشامخ لا يذل ولا يركع ومازال يعطي نفسه وكرامته رمز للعطاء",وأضافت "بعد كل هذه السنوات، نحن فخورون بنائل وعمر وكل الأسرى وسننتظر عيد حريتهم.

■■ بين عيد ميلاده وذكرى اعتقاله

«كل يوم وكل لحظة وأنت بخير .. وستكون بخير بإذن الله أنت وباقي الاسرى.. عندما تتعلق روحكما بالله .. فالحكم له أولا وأخيرا.. وان شاء الله نحتفل قريبا بحريتك وعودتك الينا سالما ومنتصرا"، بهذه الكلمات ، خاطبت الأسيرة المحررة أمان نافع زوجها أقدم أسير في العالم نائل البرغوثي بمناسبة عيد ميلاده ال62 وعشية دخوله عامه ال41 خلف القضبان في 15-11-2019 ، بعدما أعاد اعتقاله اثر تحرره في صفقة وفاء الأحرار ، وأضافت " مهما مارس الاحتلال نحن صابرون ، وتعلمنا دروس وحكم في الصبر من مدرسة نائل الذي لم يهزمه سجن وسجان ، فهو نموذج وقدوة لنا يؤكد كل يوم رغم قيده ، ان سر صبر الفلسطيني على مايحدث معه ، علاقته بالله التي تقوي عزيمته وتشد أزره ، فكل تضحياتنا وما نقدمه هدفه أرضاء الله أولاً وانتزاع الحرية التي هي للشعوب ولكل أسرانا وأبنائنا وأزواجنا "، وأكملت " ليس من المعقول ، ان يبقى الاحتلال موجوداً على هذه الأرض دون ان يحاسب على جرائمه التي يرتكبها ضد أصحاب الحق والقضية والأرض ، و الحرية قادمة ان شاء الله وتحرير الاسرى و فلسطين قادم، سنشهده ان شاء الله بأعيننا وان لم يحدث فيشهده بإذن الله أبناؤنا.

■■ صور وذكريات

في سجن " بئر السبع "، أضاء نائل الشمعة الجديدة في عمره المديد والمليء بالقصص والحكايا والذكريات والصور ، وتلك الصور تتكرر بشكل يومي أمام رفيقة دربه الصابرة أمان لتستمد منها العزيمة والأمل ، وتقول " وحدها ذكريات وحكاية كل صورة من تخفف عنا ألم الفراق وظلم السجان ، فهذه صورة لنائل وهو في الحقل يرتدي ملابس العمل ويزرع أرضه ، فقد كان يحب الأرض التي ورثها عن أجداده كثيراً ، يهتم بها بيديه ويزرع الأشجار التي أثمرت بعد اعتقاله ولم يذق طعمها حتى الان "، وتضيف " من الصور المميزة لنائل مع العم التسعيني أبو الوليد ، جد الأسير مراد البرغوثي المحكوم مدى الحياة ، وهما يعملان معا في الأرض ، فرغم كبر سنه ما زال الجد يحمي الأرض ويحرثها ويرعاها "، وتكمل " من الذكريات الجميلة ، صورة أخرى لنائل يقف أمام قريته كوبر التي كان دائما ينظر اليها بحب وشغف ، فلم يكن يشبع من هذه القرية التي سارت على دربه ودرب عائلته في النضال والتضحيات" ، وتتابع " فبعد اعتقال نائل الثاني ، اعتقل العديد من أبناء العائلة والقرية الذين قاوموا الاحتلال واستشهد بعضهم ، كانوا أطفالا ولدوا ونائل في السجن خلال اعتقاله الأول ، وكان للقائهم بعد تحرره اثر كبير على نفوسهم"، وتستدرك " اعتقال نائل الثاني بالنسبة لاهالي قرية كوبر ، كان مؤذيا لمشاعرهم ومؤثراً جداً ،فطوال حياتهم سمعوا وعرفوا حكاية الشاب الفلسطيني الذي اعتقل وعمره 19 عاما وخرج وعمره لايتجاوز ال57عاما ، وتخيلوا انه سيعيش حياته بشكل طبيعي، الا ان الاحتلال أبى الا ان ينغص عليهم فرحتهم ويعيد اعتقال نائل ظلما وقهرا للرجال.

■■ السيرة الذاتية ..

في قرية " كوبر " بمحافظة رام الله ،أبصر عميد الأسرى الفلسطينيين والعرب ، نائل صالح عبد الله برغوثي " ابو النور"، النور في 1957/10/23 ، نشأ وتربى وسط عائلة فلاحة بسيطة ومناضلة ، مكونة من الوالدين والابن البكر عمر "آبو عاصف " الذي يكبر نائل بستة سنوات وهو والد الشهيد صالح البرغوثي والأسير عاصم ، وشقيقه تصغره بسبعة سنوات "ام عناد"، وهي والدة لثلاثة أسرى ، وتقول المحررة أمان " عمي صالح البرغوثي ، عاش حياته مزارعا يرعى أرضه المزروعة بالكثير من أشجار الزيتون التي رعاها حتى توفي ، أما والدته الشاعرة الماجدة فرخة، فوقفت دوماً لجانب زوجها وكانت حافظة على اراضي اهلها الذين هجروا الى الأردن بعد نكسة عام 1967"، وتضيف " ارتبطت العائلة بالارض وطنياً ومعيشياً ، وواظبوا على زراعتها بالقمح وأشجار واللوزيات والحمضيات التي اعتمدوا على منتوجها وخيراتها بحياتهم.

■■ قصص لا تنسى ..

ينحدر نائل من عائلة مناضلة ومكافحة لها تاريخ في النضال الفلسطيني منذ بداياته ، فابن عمه ربحي انضم لصفوف الثورة فور انطلاقتها و استشهد في حرب الكرامة ، وفي ريعان الشباب ، انضم نائل وعمر مع ابن عمهم فخري البرغوثي لخلية فدائية قاومت الاحتلال وما زالت تقدم الشهداء والجرحى ، وتقول المحررة أمان " هذا الواقع ، أثر على عمر ونائل ، فكان من عشاق الأرض وحماتها والمدافعين عنها منذ صغرهما ".ومن الروايات التي يتناقلها أهالي كوبر ، ما حدث في نكسة عام 1967 ، عندما احتلت إسرائيل الضفة والقدس ، وتقول أمان " في تلك الفترة ، دخلت دوريات الاحتلال والياته القرية ، وطلبت من الأهالي رفع العلم الأبيض كإشارة على الاستسلام والقبول بارض الواقع ، لكن عائلة أبو عمر رفضت ذلك وتمردت على الاحتلال ، وتضيف " خلال مرور الدوريات الاحتلالية في الشوارع ، فوجيء الجميع ، بصعود نائل الذي كان بعمر 10 سنوات وشقيقه عمر لسطح منزلهما ورشقا بالحجارة أول دورية للمحتل دنست كوبر.

■■ الاعتقال الأول ..

تلقى نائل وعمر تعليمهما الابتدائي في مدارس قريتهم "كوبر"، وأكملا المرحلة الإعدادية والثانوية في مدرسة الأمير حسن في مدينة بير زيت ، وعلى مقاعد الدراسة ، برزت روحهما النضالية والوطنية العالية ، وتفيد المناضلة أمان ، أن نائل كان يتزعم المظاهرات الطلابية للمطالبة بالحرية ، وفي إحدى المرات اشتباك بالأيدي بشكل مباشر مع احد جنود الاحتلال وتمكن من انتزاع الهراوة التي اعتدى بها الجندي على المتظاهرين ، وعلى أثرها اعتقل نائل وصديقه عبد الكريم للتحقيق بخصوص هذه العصا ، وأفرج عنهم ، وبقي يحتفظ بهذه العصا حتى صادرها الاحتلال بعد اعتقال نائل وعمر وفخري.

■■ خلف القضبان ..

خلال دراسته في المرحلة الثانوية ، اعتقل الاحتلال نائل للتحقيق لمدة أسبوعين لمشاركته في الفعاليات الوطنية ، ولم يؤثر ذلك على عزيمته ومعنوياته ، فانضم لمجموعة فدائية مع شقيقه عمر وابن عمه فخري ، نفذت عدة عمليات ضد الاحتلال الذي اكتشفها واعتقل الثلاثة في 1978/4/4 ، بينما تمكن قريبهم غازي البرغوثي من الهرب للأردن ، وأقام هناك وتزوج ورزق بالأبناء وتوفي في عمان وعادت عائلته لتعيش في كوبر.

■■ القيد والشجرة ..

مرت السنوات ، بصمود نائل وصبر عائلته بعدما رفض الاحتلال الإفراج عنه وشطب اسمه من كافة صفقات التبادل ، ليرحل الوالدين قبل تحقق حلمهما بعناقه حراً ، وتقول المحررة أمان " كانت سنوات مؤلمة وقاسية وخاصة للوالدين الذين انتظرا طويلاً لكن الاحتلال حرمهما الفرحة ، وخلال اعتقال نائل ، زرعت له والدته شجرة ليمون أمام منزلها عام 1995 ، بأمل حريته ليقطف من ثمارها "، وتضيف " تعاون نائل مع والدته في سقاية هذه الشجرة عبر زجاجات ماء أخرجها في كل زيارة من سجنه ، وكان يوصي والدته بالوضوء بهذا الماء على جذع الشجرة عند كل زيارة لترفع معنوياتها وتشحذ عزيمتها وتعزز فيها أمل الحرية "، وتكمل " اليوم ما زالت الشجرة تنتظر نائل ليرويها ، وتأكل منها العائلة والجيران ، و عندما تحرر ، كان يجلس قربها لتذكره بوالدته وصبرها وبطولاتها التي لا تنسى ".

■■ الحرية والعودة ..

عاقب الاحتلال نائل وعائلته ، برفض إطلاق سراحه وشطب اسمه من كافة صفقات التبادل ، لكن تنال السنوات العجاف لم تنال من عزيمة وصبر نائل الذي أصبح أقدم أسير في العالم حتى تحرر بعد 33 عاماً في صفقة وفاء الأحرار ، وأطلق سراحه في الاحتلال الإفراج عنه وبقينا نتأمل على مدار شهرين إطلاق سراحه "، وتضيف " لم يكن لدينا أدنى شك بحريته حتى ان نائل احضر معه للمحكمة بعض الصور التي كنت ادخلها له خلال زيارتي له على أمل ان يفرج عنه ، لكن كانت مفاجئة كبرى لمحاميه ولنا ، انه تم إعادة الحكم السابق له بدون أي تفسير"، وتكمل " الحكم صدر على أساس ملف سري ، وقدمنا مع حوالي 30 أسيرا محرراً في الصفقة استئناف للمحكمة العليا ، وستعقد جلسة في 8-7 ،وقد استند المحامي ليبرمان ، في استئنافه الى ان قيام الاحتلال باعتقال نائل والمحررين معه بناءاً على قرار من الوزير بينت الذي يقف خلف القرار ، وهذا دليل على انهم لم يخرقوا أي بند من شروط إطلاق سراح الاسرى " ، وتتابع " يتوقع نائل أن يفرج عنه وتكون حريته هدية عيد ميلادي في 9-7 ، ونحن ننتظر ومعنا الاسرى صفقة وفاء أحرار ثانية وبشقة كبيرة ان فجر الحرية للأسرى وشمسها قادمة على فلسطين باذن الله ، فكلنا يقين ان المحتل لفلسطين الذي يحمل جواز سفر ثاني سيستخدمه قريباً.

■■ صور مؤلمة ..

توضح المحررة إيمان ، أن أحد شروط الصفقة ، إلزام نائل ومعظم المحررين معه بالتواجد في محيط سكناهم وقريتهم ، والذي لا يختلف عن الإقامة الجبرية ، وقد التزم بها ، وتقول " نائل الذي تحرر بعد 33 عام ونصف ، لم يتمكن طوال فترة حريته على مدار 32 شهراً من زيارة مدن الضفة الغربية ولاحتى القدس، وهذا يعني انه منذ اعتقاله عام 1978 حتى الان ، لم يشاهد أي مدينة في وطنه "، وتضيف " تحمل كل الشروط القاسية والمجحفة حتى انه كان يتمنى ان يزور القدس ويصلي في المسجد الاقصى ، وزيارة أريحا أو نابلس أو جنين ، كان يسمع عن هذه المدن وفي حياته لم يزر الكثير منها بها (كاتب التقرير) ، خلال عملها الدؤوب في نادي الأسير الفلسطيني ، لمست وعرفت فيها روح النضال والعطاء والانتماء الحقيقي ، وشكلت مرجعاً وارشيفاً ومكتب تحفظ ارث الأسرى وقضاياهم ، كلما أردت إعداد تقرير عن أسير ، تفاجئني بأنه لم يبقى منزل لأسير إلا وسبقتني إليه ، للدعم والمساعدة وتخفيف الوجع وإعلاء صوتهم لتبقى قضيتهم حية ، كما شاهدت مدى حبها وتقديرها واعتزازها بالأسير نائل ودورها الكبير في رفع صورته وقضيته في كافة المحافل ، فقد كان لها بصمات كبيرة وموثرة عندما جمعتنا ارض الجزائر في المؤتمر الدولي الذي احتضنته لنصرة الأسرى.

■■ بعد حرية نائل ..

المناضلة إيمان التي عاشت تجربة الاعتقال خلف القضبان وحوكمت 15 عاماً ، لكنها تحررت بعد 10 سنوات في عام 1997 ، اثر مفاوضات و اتفاق "طابا" الذي ابرم بين الرئيس الشهيد أبو عمار وحكومة الاحتلال ، وتقول " رغم تجربة الأسر المريرة ، فرحت بحريتي وعشت حياتي وأكملت دراستي ورزقني رب العالمين بابني عبد الله الطالب في جامعة بيرزيت و الذي يبلغ اليوم من العمر 20 عاماً "، وتضيف " عادت الأفراح والأمل لحياتنا بعد زواجي بنائل ، كنت أتمنى وأظن ان زواجي من نائل بعد سنوات من المعاناة له ولي بسبب الاحتلال وسجونه ، سيمسح كل المحطات الصعبة والقاسية من حياتنا لنبدأ من جديد ونحقق الأمنيات التي رسمناها وخططناها معا "،وتضيف " عشنا على مدار 32 شهراً ،لحظات رائعة و جميلة بكل تفاصيلها ، لم نكن نفارق بعضنا بعضا الا في أوقات دراسته ، فقد تابع دراسة التاريخ في جامعة القدس المفتوحة، أو في الأوقات التي كان يقضيها في المناسبات "، وتكمل " في نفس الوقت ، حافظ على العهد والواجب تجاه اخوانه الاسرى ، فكان دوماً يشارك في الفعاليات في سجن هداريم ، بعد استشهاد ابن اخيه صالح حيث كان نائل يتلقى أخبار العائلة عن طريق الإذاعة ، وعندما شاهدته ، كان وضعه صعب ، فقد دمعت عيناه وهو يتذكر الشهيد صالح ذلك الشاب صاحب الخلق العالي الذي تميز على أبناء جيله ، فلم تكن تفارقه البسمة ، كان طفلا ولم يتوقع نائل ان يقاوم الاحتلال "، وتضيف " مضت فترة الزيارة في الاستماع حول تفاصيل رواية استشهاد صالح وابن الشهيد صالح قيس، وتذكرنا معا يوم أجريت عملية جراحية للشهيد صالح ، وعندما كان تحت البنج وشفاه لأتردد إلا الله اكبر سبحان الله وكانت كلماته تدل على مافي داخله حتى لو كان في عالم أخر.

■■ تطورات وأحداث ..

بعد زج نائل خلف القضبان ، طرأت الكثير من الإحداث بحياة أسرته بين السعيدة والحزينة التي ما زال يتابعها ويتفاعل معها بروحه الحرة وانتماءه الصادق وحبه الكبير لعائلته وشعبه ، وتقول أمان " قطار الزمن ما زال يسير ، وتحمل الأيام كل لحظة صور وأخبار لا تنتهي ، فبعد اعتقاله تزوج ابن أخته عبد الله الذي ولد ونائل في السجن ، وحالياً عبد الله معتقل مع عمه ومع شقيقه عناد وأخيه عمر "، وتضيف "بالنسبة لعائلة شقيقه عمر البرغوثي الذي التقى نائل لمدة 7 أشهر في فترة حريتهما ، فقد استشهد ابنه صالح الذي ولد أيضا في وقت اعتقال نائل الأول ، كما التقاه زوجي بعد ان أفرج عنه في عام 2011 وشاركه في حفل زواجه وحمله على كتفيه في الوقت الذي كان فيه والده عمر

وأخيه عاصم في السجن "، وتكمل " عندما أعيد اعتقال نائل ، تحرر بعد عام تحرر ابن أخيه عاصم الذي أمضى 11 عاما ونصف ، ليتزوج ، وبعد اقل من عام استشهد صالح ويعتقل عاصم ويهدم منزلي الشهيد والأسير الذي حوكم بالسجن المؤبد 4 مرات.

■■ الإضراب عن الطعام ..

خلال اعتقاله الحالي ، شارك الأسير نائل مع رفاقه الأسرى خوض معركة " الحرية والكرامة "، والتي توجت بانتصار الأسرى ، وخلال فترة الإضراب لم تغادر الزوجة أمان خيمة الاعتصام في رام الله ، تضامناً مع المضربين وبينهم زوجها الذي شارك في الإضرابات 19 مرة خلال محطات اعتقاله ، وتقول " صمود وثبات الاسرى ، وإصرارهم على مواصلة معركتهم وخوضها بقوة ومعنويات عالية ،أعاد لشعبنا ملاحم الوحدة والتلاحم "، وتضيف " انتفاضة الاسرى ، خلقت خيام التضامن التي انتشرت في جميع أنحاء الضفة ، تسكنها أمهات وزوجات وأبناء ومناصرين للأسرى ،فهذا النجاح هو نجاح للشعب الفلسطيني اينما كان ولكل العالم الحر الذي يدعم قضايا الأحرار في كل مكان" ، وتكمل "كانت رسالة نائل في خوضه الإضراب وهو الذي وصل للعام ال60 من عمره المديد ، اننا جميعا شعب واحد ويجب ان نقف الى جانب بعضنا البعض وتعزيز الوحدة قانون الانتصار"، وتتابع " نتمنى ان يكلل بانتصار فلسطين وحصولنا على دولة وإطلاق سراح الاسرى ،و أن يكلل هذا الشهر بصفقة وفاء أحرار ثانية وتحرير والتئام الوطن بالشكل الذي يحفظ وحدتنا وصمودنا ومقاومتنا والتي هي قوة لكل شعبنا في طريقه لانتزاع الحرية الكاملة وكسر قضبان السجون والقيود.

■■ التحدي والأمل..

في 15-11-2019 ، دخل نائل عامه ال41 خلف القضبان في سجن " بئر السبع "، وتقول أمان " رغم كل ما تعرض له ، مازال يتحدى السجن والسجان بروح مرحة ومعنويات عالية ، ويرعى ويتابع الاسرى وقضاياهم ، كما يتولى مسؤولية تعليم طلاب العلم منهم وتدريسهم مادة العلوم السياسة ، ويومياً يقدم المحاضرات المفيدة في كافة المجالات "، وتضيف " الحمد لله ، نائل يتميز بصحة ممتازة ، فما زال يمارس الرياضة منذ صغره ولم يتوقف عنها ، وعلمت خلال الزيارة انه قد فاز في مباراة كرة السلة ضد فريق الاسرى ،وباذن الله تعالى فان صاحب مدرسة الصبر الفلسطينية قادر على قهر سجانه وكسر قيده وانتزاع حريته القادمة قريباً.

■■ مناشدة

المناضلة إيمان ، تتمنى أن تتكاثف جهود الجميع لدعم التحركات التي تقودها ، لتحرير نائل وكل محرري الصفقة ، وتقول " خلال حديث نائل ، ورغم إيمانه العظيم بالله سبحانه وتعالى ، شعرت بغضب في داخله عن الصمت على اعتقاله بالرغم من انتهاء حكمه الثاني ، ليدخل عامه الجديد خلف القضبان سجون الاحتلال الذي ينغص عليه فرحة الحرية "،وتضيف " أناشد الرئيس محمود عباس والرئيس التركي ، وكل جهة ودولة لها علاقة بالتفاوض مع الاحتلال في قضية الجنود المخطوفين ، تبني قضية نائل وكافة أسرى الصفقة المعاد على اعتقالهم وعدم تركهم ضحايا للاحتلال وسياساته "، وتكمل " لدينا ثقة كبيرة ، بان حريته قادمة وموعدنا الحرية وحرية.

■■ برتقالة نائل

في منزل نائل في قرية كوبر ، تجلس المناضلة إيمان يوميا ، تنتظر لحظة انكسار القيد ، تعيش ذكريات الأمنيات التي لم تكتمل لان الاحتلال يأبى إلا أن ينزع الفرحة الفلسطينية من حياة إيمان وعائلة زوجها، باعتقال نائل الذي مازل مستمرا، ورغم انها لم تعلم في الأرض ، لكنها لعشق نائل لها ، أكملت مشوار رعايتها ، تعلمت قطف الزيتون والعناية بالأرض التي تركها نائل عندما اعتقل مزروعة ببعض الأشجار ، فزرعت المزيد من الورد فيها وأضافت إليها الكثير من الأشياء الجميلة حول المنزل حتى أصبح الأهل والجيران يقولون " بيت أبو النور أصبح منتزه"، لكن أيمان ، تتمنى أن يسعد ذلك رفيق دربها عاشق الأرض عندما يتحرر ، وتقول " حتى شجرة البرتقال زرعها ولم يأكل ثمرها ، لكن مهما طال الظلم ، لدي إيمان راسخ ان الاحتلال لابد زائل، وان ماقدمناه ونقدمه هو ضريبة للتخلص من وجوده وسجونه ومعاناته ، سيتحقق ويجتمع الشمل ونواصل المشوار دون قيود ، وسنحتفل ونائل في ظلال برتقالته التي لو نطقت لصرخت من القهر كفى صمتا ، فماذا تبقى بعد 41 من رحلة القيد والغياب؟.

■■ في ظل كورونا ..

في سجن "هداريم "، يقبع نائل حالياً ، وبسبب إلغاء الزيارات منذ تفشي فيروس " كورونا "، لا يوجد تواصل معه ومع الاسرى ، وتقول إيمان " في الأساس الاحتلال يمنعنا من زيارته منذ فترة طويلة ، لكن منذ إعلان الطوارئ وإلغاء الزيارات بسبب جائحة كورونا لم يعد هناك اتصال وتواصل والطريقة الوحيدة للاطمئنان عليهم من خلال زيارة المحامين "، وأضافت " ابلغنا المحامي قبل أيام ، أن صحة نائل ممتازة ومعنوياته عالية ، وينتظر ويتمنى الحرية مع كافة محرري الصفقة المعاد اعتقاله في 8-7 ، لأنه لا يوجد أي مبرر لاعتقالهم ، ومثلهم ننتظر على أحر من الجمر ، ونوكلهم لرب العالمين وليل نهار نصلي لحريتهم وانتصارهم.

■■ الاعتقال الجديد ..

ويسلط الضوء على أوضاعهم ويطالب بحريتهم ، و لم يكن يرفض أي دعوة توجه له من أي فصيل للحديث عن موضوع الاسرى وحقوقهم العادلة والمشروعة.

استمرت أجواء الفرح في حياة نائل وزوجته وعائلته ، حتى أعاد الاحتلال اعتقاله مرة أخرى من منزل الأحلام والطموحات الكبيرة بتاريخ 2014/6/18 ، مع 70 أسيراً من المحررين في صفقة وفاء الأحرار والذين أعيدت أحكامهم السابقة لهم ،وتقول الزوجة أمان " بعد اعتقال نائل ، ورغم عدم إدانته بأي تهم حوكم بالسجن الفعلي لمدة 30 شهراً ، وبعد إنهاء الحكم رفض " . لم تنام إيمان ليلة موعد حرية نائل ، وتألمت كثيراً ، عندما أوصد السجان أبواب السجن مرة أخرى أمامه وحال دون حريته رغم إنهاء كامل محكوميته الثانية ، لكن ما خفف عنها رغم حزنها وصدمتها ، أنها ستحظى برؤيته وزيارته في اليوم التالي 18-12 ، وتقول " خوفي وقلقي من تراجع الاحتلال عن إطلاق سراح نائل في الموعد المحدد ، ولمعرفتي بمدى قدرته على نقض العهود ، ولعدم حصولي على تصريح زيارة دائم ، فالاحتلال يعاقبني بتصريح أمني من يحمله يسمح له بزيارة مرة واحد كل 3 أو 6 شهور" ، وتضيف " قررت التسجيل احتياطاً لموعد الزيارة التي كانت مباشرة في اليوم التالي المفروض أن يفرج عنه فيه ، كنت أتمنى أن لا استخدم التصريح والفرح باجتماع شمل نائل في بيتنا في كوبر ، لكن الاحتلال حرمنا الفرحة ، ولم يعد نائل الذي احتفلنا بعيد ميلاده الجديد وهو خلف القضبان.

■■ الزيارة الأولى ..

بعد معاناة المنع الامني ، فرحت الزوجة أمان بحصولها على تصريح لزيارة رفيق دربها الذي تكرس حياتها له ولقضية الاسرى ، وتقول " كانت زيارتي الأولى لنائل في 18-10-2011 "، وتضيف زوجته أمان " في عرس وطني كبير ، تزوجنا في 18/11/ 2011 ، وبدأت حياتنا الجميلة والرائعة حتى قطع الاحتلال علينا الطريق بإعادة اعتقاله لتكرر دوامة الالم والمعاناة بين السجون.

■■ المناضلة الوفية إيمان ..

الزوجة الوفية والصابرة إيمان ، تعتبر مناضلة وناشطة وطنية ، كرست حياتها للقضية وشعبها ، وكانت معرفتي

الأسير القائد نائل البرغوثي .. عُمدة الأسر وأصالة القضية

في ظلمة الزنازين الباردة التي تحمل بين تشققاتها عقودا من القهر؛ تنبثق القصص التي يكاد لا يصدقها عقل بشري، فذاك أنجبت ابنته التي كانت جنينا حين اعتقل؛ وذاك تزوج ابنه الذي لم يكن قد أكمل العام حين اعتقل، وهذا عاش في العزل عقدا كاملا وذاك نهش المرض جسده وهو لا يحصل على الدواء عقاباً وظلماً. ولكن من أبرز القصص التي تتربع على عرش الحركة الأسيرة هي حكاية ذاك الطود الشامخ الذي ما عرف للكلل معنى؛ الأسير القائد نائل البرغوثي "أبو النور" (63عاما) صاحب أعلى مدة يقضيها أي أسير في العالم . كسرت المقاومة قيده عام 2011 بعد أكثر من ثلاثة عقود على اعتقاله منذ سبعينيات القرن الماضي ولكن كما هي عادة المحتل في خفر العهود أعاد اعتقاله قبل أربعة أعوام . وتقول زوجته الأسيرة المحررة إيمان نافع لـ مكتب إعلام الأسرى إن قوات الاحتلال اعتقلت زوجها في الثامن عشر من يونيو عام 2014 بعد نجاح المقاومة في قطاع غزة بأسر الجندي الصهيوني "شاؤول أرون" إبان معركة العصف المأكول التي مرغت أنف الاحتلال. وخلال تلك الحملة اعتقل الاحتلال عشرات من محرري صفقة وفاء الأحرار في الضفة المحتلة وأعادهم إلى ظلمة السجن من جديد، ولكن المأساة الأكبر كانت حين أعاد لهم أحكامهم المؤبدة. وتوضح نافع بأن الاحتلال أصدر حكما في البداية على زوجها بالسجن لمدة 30 شهراً ظلماً وزوراً دون أي ذنب ثم انتظرته العائلة للإفراج عنه ولكن تفاجأت بإعادة حكم السجن مدى الحياة، ليؤكد ذلك على سادية المحتل في التعامل مع أبناء شعبنا الفلسطيني، وتدخل دوامة أخرى من الانتظار والشوق. نائل البرغوثي ذاك الفدائي الذي اعتقل شابا في الرابع من أبريل عام 1978، كان في الثامن عشرة من عمره يدافع عن وطنه السليب بقوة عزيمته، اعتقل من منزله في قرية كوبر شمال رام الله بعد اقتحام همجي لم يتح للعائلة الوقت حتى لفتح الأبواب، يومها خلط الجنود المواد الغذائية وحطموا النوافذ واعتقلوا نائل وأجريت له سلسلة محاكمات بتهمة المشاركة في مقاومة الاحتلال، ليمضي في الأسر 34 عاما قبل أن تكسر المقاومة قيده عام 2011 ضمن 1057 أسيرا وأسيرة.

■■ قوة العقيدة

يقبع الأسير حاليا في سجن بئر السبع جنوب فلسطين المحتلة، هو لم يمض فترة الأسر بائساً بل كان يشع أملاً لكل من حوله من الأسرى، كان وما زال لهم الأب والأخ والصديق المازح الذي يخفف وطأة الاعتقال على من حوله، كما كانت له كتابات مختلفة ودراسات أجراها أظهرت قوة إرادته وعدم استسلامه لجدران السجن.

وتوضح نافع بأن زوجها يدخل يوم السادس عشر من نوفمبر عامه التاسع والثلاثين في الاعتقال ولكنه رغم كل هذا الظلم الذي واجهه لم يتأثر معنوياً وبقيت إرادته صلبة وبقي محافظا على صفاته الطيبة التي كان يتمتع بها سابقا. منذ ثلاثة أشهر لم تتمكن نافع من زيارة زوجها عميد الصبر بسبب ما يسمى بالمنع الأمني للزيارة؛ حيث يتعمد الاحتلال التضييق عليه حتى وهو داخل الأسر ويحرم زوجته التي ارتبط فيها بعد تحرره في صفقة وفاء الأحرار أي عقب 34 عاما من الاعتقال. وتؤكد الزوجة أنها لم تتمكن من زيارته سوى بضع مرات قليلة منذ إعادة اعتقاله عام 2014 بينما يحق للأسير الحصول على زيارتين شهريا أي بواقع 24 زيارة كل عام!

ومنذ إعادة اعتقاله لم تألُ نافع جهدا في تدويل قضية زوجها وتعريف العالم على ما مر به من ظلم وقهر.

وتتابع:« نائل يعرف أننا على حق وهو يناضل لأجل قضية عادلة للوصول إلى النصر على الاحتلال؛ اعتقاله ظالم وغير قانوني وبات يمثل رأس الحركة الأسيرة لأنه أمضى أكثر من ثلثي عمره في السجون والزنازين ورغم ذلك يمدنا بالمعنويات والقوة لأجل إكمال رسالته".

■■ شهادة حية

كل من عايش الأسير القائد البرغوثي يحمل في قلبه شهادة حيّة حول ما يملكه الأسير من قوة عقيدة ومعنويات تناطح السحاب ونور علم يتوسع شيئا فشيئا، حيث يعتبر كل من عايشه أنّ الأسير أبو النور من أرقى الشخصيات التي تعاملوا معها أبداً وأنه رغم كل ما مر به لا يزال نموذجا للصبر والتواضع. بدوره يؤكد الأسير المحرر القيادي فازع صوافطة من طوباس شمال الضفة أنه عايش الأسير القائد البرغوثي في سجن عسقلان بين عامي 1999 و2000، وأن تلك الفترة كانت كفيلة بأن يكوّن صورة مشرقة له. ويقول لـ مكتب إعلام الأسرى إن البرغوثي كان طوال الوقت متفائلا ويتمتع بمعنويات عالية ووضعه النفسي مريح جدا ودائم الابتسامة بل ويوزع المعنويات على إخوانه الأسرى، مبينا بأن سنوات الأسر لم تكسر عزائمه ولم تثبط نشاطه. ويضيف:« أبو النور نشيط وخادم لإخوانه وذو تواضع رهيب جدا حيث لا يتوانى عن القيام بأي عمل لخدمة الأسرى كإعداد الطعام أو أعمال التنظيف، علاقته مع الجميع إيجابية مفتوحة وابتسامته لا تفارقه وكان يخرج للعب الرياضة بشكل يومي".

وحول كنز المعرفة الذي يمتلكه يؤكد صوافطة بأن أبا النور دائم القراءة ولديه علم وثقافة عاليين بل يعتبر مخزنا تاريخيا وكل تاريخ السجون وحتى تاريخ الثورات في العالم يدرك أحداثها ومعانيها وتفاصيلها. ويتابع:« هو رمز للثورة وعميد للأسرى وكل المعاني ذات المستوى الراقي تتمثل في نائل".

■■ أمل لا يغيب

عائلة الأسير البرغوثي كما آلاف العائلات الفلسطينية التي تنتظر شمس حرية جديد بفضل الله أولا ثم المقاومة الثابتة على وعودها ثانياً، فلا تكل ولا تمل في انتظار أخبار مفرحة تعيد الابتسامة لها. وترى العائلة بأن الاحتلال وفي الوقت الذي يدخل فيه الأسير عامه التاسع والثلاثين في الاعتقال ينقض عهده مع المقاومة ويقوم بعملية جبانة في محاولة لكسرها؛ ولكن ما حدث من يقظة ومتابعة من قبل المقاومين يجدد الأمل في قلوب أهالي الأسرى لأنه يؤكد أن هناك مقاومة حريصة على أبنائها ومتمسكة بكل حقها بل وكفيلة أن تعيد أبناءهم في وقت ما قد يكون قريبا. وتعبر العائلة كذلك عن خيبة أملها في الوقت ذاته من موقف بعض الدول العربية التي تهرول لإقامة علاقات مع الاحتلال بينما تتناسى معاناة آلاف الأسرى منهم الأطفال والنساء والمرضى والمؤبدات وغيرهم.

الأسير نائل البرغوثي .. مانديلا فلسطين

■■ بقلم: ثامر عبدالغني سباعنه

لقد غدى الراحل نلسون مانديلا رمزا عالما للحريه والاضطهاد، وبات اسمه يُستحضر عند الحديث عن المعاناة والصبر والاعتقال السياسي، بينما غاب عن العالم الاسرى الفلسطينيين الذين امضوا في سجون الاحتلال فترة اطول من مانديلا وقدموا لقضيتهم ووطنهم اضعاف ما قدمه مانديلا، لكن لاتجد لهم ذكر في المنابر الدوليه ولا على السُن حاملي شعار حقوق الانسان والانسانية. الاسير الفلسطيني نائل البرغوثي (ابوالنور) احد الاسرى الفلسطينيين الذين امضوا عشرات السنين في سجون الاحتلال، لا بل هو صاحب اطول فتره اعتقال في سجون الاحتلال الاسرائيلي، ابو النور جندي من جنود الوطن...والامة...واسال الله ان يثبتنا على طريق الحق وان لا يفتن ونائل الان يمضي على طريقه بلا كلل ولا تردد ونصب عينيه الامل الذي سيتحقق باذن الله في وحدة الامة على طريق تحرير فلسطين وبناء امة لها مكانتها التي تليق بها وتستحقها في مساهمتها المتجدده لبناء حضاره انسانيه اكثر عدلا ومحاصرةللظلم...بعدل الاسلام ومقاومة كل من يتطاول على نهضة الامة ووحدتها واشراقة الامل المتجدد الذي نسال الله ان يكون تحقيقه قريبا. نائل البرغوثي المولود عام 1957 في بلدة كوبر قرب رام الله،واُعتقل للمرة الأولى عام 1978م، (19 عامًا حينها)، وحُكم عليه بالسجن المؤبد و(18) عامًا، وقد رفضت سلطات الاحتلال الإفراج عنه رغم مرور العديد من صفقات التبادل والافراجات التي تمت في إطار المفاوضات، امضى في الاسر (34 عامًا)، بشكل متواصل، حيث تحرر في صفقة التبادل 2011، ثم أُعيد اعتقاله 2014 إلى جانب العشرات من المحررين بالصفقة. يقول الاسير نائل البرغوثي عن مشاعر الاسرى عند الاعلان عن صفقة وفاء الاحرار : ان الشعور لدى الجميع كان رائعا لان هناك من سيقطف ثمرة دماء سالت وعيون توجهت الى العنوان الصحيح لكسر القيد عن الاسرى بعيدا عن الشعارات والعرائض وهذا ما اعطى املا بالتفاؤل للاسرى وذويهم لان هناك طريقا تم توضيحها بفضل الجنود الذين ارتقوا شهداء بان اخوانهم الاسرى سيعودون بعد ان صهروا لهم مفتاحا اقوى من كل القيود... تزوج البرغوثي عقب تحرره في صفقة التبادل عام 2011 من المعتقلة المحررة "أمان نافع"، إلى أن أعيد اعتقاله عام 2014.وصدر بحقه حُكمًا مدته 30 شهراً، وبعد قضائه مدة محكوميته أعاد الاحتلال حُكمه السابق وهو المؤبد و18 عامًا، إلى جانب العشرات من محرري صفقة "وفاء الأحرار" الذين أُعيدوا إلى أحكامهم السابقة وغالبيتهم يقضون أحكامًا بالسّجن المؤبد. أن الأسير نائل قارىء نهم ولديه علم وثقافة عاليين. وقد اشتهر بين رفاقه الأسرى أنه يملك ثقافة واسعة جدًا، ولم تستطع إدارة سجون الاحتلال بإجراءاتها المختلفة طمس ابداعه الثقافي، فتعلم اللغتين الإنكليزية والعبرية داخل السجون. وهو يُعدّ مرجعاً للأسرى الذي شاركوا في محطات النضال الفلسطيني، بدءاً من انتفاضة الحجارة نهاية عقد الثمانينيات، وحتى يومنا هذا. ان صاحب الروح العظيمة لا يضلل العقول ولا العقول تضله، فإذا ما غطّت هذه الأشواق مساحات النفس، تحولت إلى عاطفة عامة تنصبغ الأفكار والأذواق والآداب بصبغتها، وتصبح طبيعةً أخرى أقوى من كل طبيعة.

نائل البرغوثي - أيوب العصر ويوسف الزمان

■■ بقلم: الأسير المحرر والباحث
د. رأفت حمدونة

كيف أبدأ ومن أين ؟ عند الحديث عن أيوب العصر ويوسف الزمان وأحد أهم أعمدة الأسرى الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية الأسير البطل نائل صالح البرغوثي (أبو النور)، أبدأ من شجرة الليمون ، من حكايا الحجة فرحة، من العشق اللامتناهي لكوبر ورام الله وفلسطين ، من سجن نفحة وفورة عسقلان والنخلة ، من الروح الإيجابية ، من عنوان العلاقات الوطنية ، من اللون البني وبدلة الاعتقال ، من رائحة الفدائيين الأحرار، من حلم الحرية والسيادة والاستقلال ، من مواقف الرجولة في العشرين ، من الشهامة والرجولة والرزانة والوقار بسن الثلاثين ، من براءة الطفولة في الخمسين ،من العقل وسعة الأفق والفكر والثقافة وكل الفخر أتحدث ، عن نائل البرغوثي المعتقل في أبريل/نيسان 1978 بعمر 19 عاما، المحكوم بالسجن المؤبد مدى الحياة ، المفرج عنه في صفقة وفاء الأحرار في العام 2011 بعدما قضى 34 عاما متواصلة في الأسر ثم أعاد الاحتلال اعتقاله بعد ثلاث سنوات ، وحُكمه بالسجن 30 شهرا بعد اعتقاله الثاني، والمفاجئة بعد انتهائها بقرار إسرائيلي يعيده إلى حكم المؤبد لحتى هذه اللحظة . خبراء في الهندسة البشرية و الطواقم ذات النظم والهياكل المعقدة والمتخصصة والمدربة، هدفت خلال اعتقال نائل لتحطيم الروح النضالية والوطنية والمعنوية له وللأسرى والأسيرات الفلسطينيات في السجون ، وسعت بكلّ الوسائل الممكنة وغير المشروعة قانونياً وإنسانياً إلى جعل السجون مقابر له، من خلال مجموعةٍ من السياسات، كممارسة التعذيب النفسي والجسدي، والعزل الانفرادي، واستخدام الأساليب الردعية والمعاملة غير الإنسانية وغير الأخلاقية، والحصار الثقافي، والتهديد بالعودة لبدايات الاعتقال الأولى، والتشويش الفكري، والاقتحامات الليلية والتفتيشات العارية، ومصادرة الممتلكات، والقتل المباشر، ومنع الزيارات، وتصاعد الاعتقالات الإدارية، ومنع التعليم الجامعي والثانوية العامة وإدخال الكتب، وسوء الطعام كمًا ونوعًا، وسياسة الاستهتار الطبي وغير ذلك من انتهاكات ، إلا أنه وزملائه لم يستسلموا لمخططات إدارة السجون، فكان " نائل" وزملائه الأقدر على قراءة الواقع من حيث حاجة الأسرى للمطالب والحقوق، ودراسة الأوضاع من حيث القوة والضعف، ودراسة جميع البدائل وفق الإمكانيات المتاحة، والأهم اختيار وسيلة النضال الأكثر تأثيرًا وأقل تكلفةً وأكثر ملائمةً في مواجهة السجان، تارةً بالخطوات التكتيكية وأخرى بالاستراتيجية، وبالوسائل السلمية والعنيفة، وبالحوارات والإضرابات والمواجهة وترجيع الوجبات، والحرب النفسية ، وبالكثير من التضحيات وبقيادة " نائل" والنخب التنظيمية من كل الاتجاهات انتقلت الحركة الأسيرة من ضعف التجربة إلى الخبرة والقيادة، ومن العجز إلى الإعداد والريادة، ومن الاستهداف إلى الحماية والأمن، ومن غياب الكادر إلى إعداد القادة، وتم الانتقال من مرحلة إلى أفضل، من العفوية وفقدان الاتزان، إلى مرحلة بناء الذات والتجربة والخطأ، إلى مرحلة التكوين التنظيمي ومأسسة البنى التنظيمية، إلى مرحلة البناء وسيادة السلطة التنظيمية، إلى مرحلة النضال الشامل والنضج وانخاض والانتصار والعزة والكرامة وتحقيق معادلة الرعب مع طواقم إدارة مصلحة السجون، ومن ثم الوصول إلى حالةٍ حقيقية من الإبداع على كل المستويات التنظيمية والإدارية والثقافية والمالية والأمنية والخارجية. استغل " نائل" والأسرى من حوله أوقاتهم بالجلسات الثقافية وبناء الهياكل التنظيمية والتعمق في العلوم والمعارف ودراسة تجارب حركات التحرر العالمية، والتعلم في الجامعات الفلسطينية والعربية والعبرية والدولية، وحصلوا على الشهادات، واهتموا بالثقافة التي كانت من أهم معالم الحياة الاعتقالية، التي صاغتها الحركة الأسيرة منذ نشأتها، وبرزت حاجة الأسرى لبلورة جو ثقافي منذ بدايات تشكل نواة الحركة الأسيرًة، من خلال ملء الفراغ الناجم عن اعتقالهم والاستفادة من الوقت، والإبداع في هذا الجانب هو محاولة نقل الوقت من نطاق سيطرة السجان إلى نطاق سيطرة الأسير. وصنع " نائل" بتجربته الكثير من مظاهر الإبداع في السجون، ولعل أهمها تخريج القادة، المتمتعين بالخيال الواسع، وعدم الاستسلام للمشكلات، والتحلي بالصبر للوصول إلى الحلول بأقل التكلفة وأقل الإمكانيات، قادة يتمتعون بالانضباط الذاتي، و يميلون للاستشارة في اتخاذ القرار، ومتقبلون للنقد الذاتي والبناء عليه للوصول إلى الأفضل، متصفون بالعقل المفتوح، والتحلي بالمرونة والاتصاف بالحساسية المطلوبة نحو المشكلات، والقدرة على توليد الأفكار الجديدة، والحزم والقدرة على السيطرة والتوجيه والإشراف، والتميز بالمثابرة وتحمل المسؤولية، وعدم الاستسلام لإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية ومخططاتها القمعية وسياساتها العنصرية، والقدرة على التكيف مع المحيط والتقلبات رغم التنقلات وكثرة المتغيرات، والتطلع بنظرة تفاؤلية للمستقبل، والقراءة الجيدة للماضي، وأخذ العبرة من التجارب السابقة، وقراءة واعية للواقع، واستشراف للمستقبل مع اليقين بالنصر والحرية، وتسلح " نائل" بكل تلك الصفات المبدعة، وبتجربته والقيادات والنخب بنوا الهياكل التنظيمية، التي هيئت كل الظروف والأجواء لانطلاق كافة أشكال الإبداع للحركة الأسيرة، والتي حكمت جميع العلاقات وضبطتها بلوائح وقوانين، وضبطت الأسرى والأسيرات للالتزام بالحياة الجماعية المنظمة، والرقابة على سلوكهم، وأوجدت الضوابط التي تحكم الأسير بإطاره التنظيمي وبتحديد حقوقه وواجباته، والتي تحكم الأسير بالكل الاعتقالي. وأوجد " نائل" وأحبته من القيادات على طول الاعتقال اللوائح والمواثيق التي تحكم عمل المؤسسات الاعتقالية بين الفصائل، وجرمت الأعمال الفردية غير المنظمة وغير المغطاة ولو ضمنياً من الأطر التنظيمية والمؤسسات الاعتقالية، وأكدت على الالتزام بالقرارات الاعتقالية العامة ، وشكل القلم بندقية نائل، والورقة ساحة المعركة الاعتقالية لديه على كل الجبهات، وقام وزملاؤه بالتضحيات ودفعوا عشرات الشهداء للحصول على القلم والقرطاسية وإدخال الكتب والصحف والمذياع والتلفاز، ودرس " نائل" والأسرى الكثير من التخصصات في شتى المجالات "في علم الاجتماع وعلم النفس، والعلوم الإنسانية، والعلوم الإدارية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والدينية"، وتعلموا اللغات وانتسبوا للجامعات وحصلوا على الشهادات ومنها العليا، وبصبرهم وصمودهم وإمكانياتهم البسيطة، استطاعوا أن يحولوا زنازينهم لصفوف دراسية، وحلقات تعليمية، ودورات ثقافية، ومحاضرات جامعية، وفي الوحشة والظلمة كتبت القصائد الشعرية، والروايات الأدبية، والكتب الفكرية، والتجارب الأمنية، والتوجيهات التنظيمية والاطلاع على الثقافات والمعارف والحضارات. ومارس " نائل" وزملاؤه تجربة الديمقراطية بين جدران سجون مغلقة، وممارسات قمعية قهرية غير معقولة من قبل سلطات الاحتلال، ولكن المسيرة الديمقراطية تطورت في السجون مع تطور الأوضاع الداخلية للأسرى مرحلةً بعد أخرى، فأسس " نائل" والأسرى في السجون مجتمعًا قائمًا على تدوال السلطة، وإجراء الانتخابات لاختيار القيادة التي تدير شؤون مجتمع الأسرى في المعتقلات، واحترام الحقوق الأساسية كمبدأ المساواة والحقوق كحق التعبير عن الرأي، وحق الفرد في حماية المجتمع له من الاعتداء على شخصه أو كرامته الإنسانية، ووجود القوانين التي تحكم الحياة اليومية، وتنظم علاقة الفرد بالفرد، والفرد بالمجتمع، وفصل السلطات، ووجود عقد اجتماعي يتم التنازل من خلاله عن جزء من الحرية النسبية التي يتمتع بها الأسرى، وتفويض جهة منتخبة لهذه السلطات لكي تصرف شؤونهم باسم المجموع. وخاض " نائل" والأسرى طريقة النضال السلمي الاستراتيجي المتمثل بالإضراب المفتوح عن الطعام " الفردي والجماعي " كأحد وسائل النضال المؤثر، هذه الوسيلة التي تعد امتداداً لأحد أشكال النضال العالمي، ولقد أثبت " نائل" بطولة غير مسبوقة بخوضه عشرات الاضرابات المفتوحة عن الطعام منذ لحظة اعتقاله لحتى اللحظة ، مع العلم أن الإضراب المفتوح عن الطعام ليس هدفاً بحد ذاته لديه، بل هو الخيار الأخير، غير المفضل بعد استنفاذ كافة الخطوات النضالية التكتيكية. وأفشل " نائل" وزملاؤه الأسرى كل مخططات إدارة مصلحة السجون بتحويلهم لعبءٍ يثقل كاهل المجتمع بعد تحررهم، ونتيجة إبداعاتهم خرجوا قادةً سياسيين وعسكريين فهموا حقيقة عدوهم بأكثر وعي وحكمة ودراية وعمق، وشاركوا في مجتمعاتهم كخبراء ومختصين، وكتاب وأدباء وصحفيين، وانخرطوا في المؤسسات الرسمية والأهلية والفصائل الوطنية، قادة ومفكرين، وأمناء لتنظيماتهم وأعضاء مجلس وطني ووزراء حكوميين.

مدير مركز الأسرى للدراسات

الحرية للأسير "نائل البرغوثي أقدم أسير في سجون الاحتلال

■■ بقلم: مصطفى النبيه

كأننا خارج السياق، يمضي بنا الوقت إلى حيث لا ندري، أربعون عاماً من الوجع والحرمان، وأنا قابع في زنزانتي، أصنع فرحي وأمسح حزني، أراقب الضوء، أصافح الهواء، أشم رائحة أهلي، أقرأ أسرار الوجوه التي أكلها الزمان من حولي، كيف سرق المحتل عمرها الزمنيّ وعزلها عن الكون ليحفر فجوات بينها وبين القادم؟ حتى وإنْ خرجتْ تبقى أسيرةَ زمنها المفقود. يفيض بي الحنين، فكم أشتاق أن أمشي في الشارع، أن أرى الأرض والخضرة، أن أشاهد الطيور وأسمع حكاية أهل قريتي الطيبين، كم أنا ظمآنُ لسماع صوت أمي وصوت سعال أبي وهو خارجٌ لصلاة الصبح. كبر الحزن حتى أصبح أوطاناً، رحلت أمي وأبي عن عالمنا، فأنا الأسير الذي لم يتسنَ لي أنْ ألقي نظرة الوداع على والديَّ وهما يواريان تحت التراب، حبست دموعي أمام إخوتي في المعتقل. فالحزن هو الوجه القبيح للحكاية، احتضار الروح، موت مؤقت يرافقني. أربعون عاماً مضت، وأنا أرى العالم يساق بإرادته إلى مذبح العبودية، أغرقوهم بالهزائم والخيبات، واستعبدوهم بالتكنولوجيا، ومنحوهم فضاء افتراضيا، عزلوهم ليصادروا أصواتهم ويوهموهم أنهم آلات محايدة، قطيع يساق إلى المقصلة، لو فكر وقال: "لا.. "، أخضعوهم للأمر الواقع، واستبيحت الأوطان، فما بين جوع وجوع، يخرج علينا المنهزمون المطبّعون ليتمسحوا بأحذية المغتصبين القتلة لأجل عظْمة. كبرت "الأنا" بين الناس، خفتت الأصوات التي تنادي بتحريرنا حتى أصبحت قضيتنا مسرحية ضعيفة تحمل انفعالا لحظيا، جمهورها محدود، خاننا الإعلام وتناستنا الجماهير المخدَّرة- حبيسة الفضاء الأزرق، وانقطعت أنفاس الفقراء الذين يركضون وراء رغيفهم الهارب. تساقطت الأوراق واتضحت الرؤيا، ذاب الثلج أمامي وتغيرت ملامحي. وما زلت أنا الشاب الذي يحلم بثورة الجماهير. حملت الوجع وعشت ألوانا من الفقد والألم، امتدادا لأربعين عاماً، كنت وأنا بالسجن أرقب أختي الصغيرة التي كانت تزورني وألاعبها، كيف كبرت وتزوجت وأصبحت أما والآن هي جدة! وأنا- كما أنا- في قفصي، مرت السنون وأنا شاخص أتأمل صورتي بالأبيض والأسود، أتذكر معالم صباي وبداية شبابي في قريتي " كوبر" برامَ الله ، مازالت روح الثائر تسكنني، رغم أني هرمت وأصبح جسدي غير قادر على الصمود إلا أنني لن أتنازل يوماً عن حريتي.. فالحرية أن يعيش شعبي بسلام، أن نشعر بالأمان، أن نخرج من الموت باسمين واثقين أننا زرعنا سنابل للأجيال القادمة، وأننا سنحيا كما نريد، وسنُمضي الحياة بتلقائيتها حسَب الطبيعة الكونية، سنمارس براءة طفولتنا ، نزحف، نمشي، نضحك، نبكي، نتعلق بأشيائنا البسيطة، وفي صبانا يكبر خيالنا وتحلّق أفكارنا، وفي شبابنا نمضي في تحقيق أحلامنا حتى نستقبل خريفنا بالتدريج ونحن واثقون أننا نتنسم حرية حتى نصبح نخيلاً، لا أنْ نقفز إلى النهايات مرغَمين، بعد أن سرق الاحتلال ربيعنا ومازال يتلذذ بجرائمه أمام طغاة العالم الذين يباركون ذبحنا. يا أيُّها الإنسانُ الحر، كن نداً وإياك وأن تكون محايداً، فالحيادية خيانة. نحن لم نختر أقدارنا، كان بالإمكان أن نحيا وألا يكونَ كلُّ ذلك ونعيشَ كباقي البشر بسلام.. استيقظُ صباحاً فأجد أمي تعد لي الفطور وعندما تواجهني المصاعب أبكي على صدرها كي أشعر بالدفء، ويطربني صوت أبي وهو يعلمني كيف أحب الحياة، ربما أصبحت طبيباً، أو عالماً، أو مهندساً، واحتمال أن أكون فناناً عاشقاً، أحب زميلتي في الجامعة، ونخرج أنا وأصدقائي لنعيش مغامرات الشباب، وعندما يكبر أبي وأمي سأكون ابنا باراً بوالديه أسهر على راحتهما، ويوم أن يأخذ الله أمانته سألقي عليهما نظرة الوداع التي حرمتُ منها، سأقبّلهما قبل أن يرحلا عن عالمنا، واستقبل العزاء فيهما، سيكون لي عالمٌ آخر... نحن لا نحب الموت، نحن نعشق الحياة، فلو لم يكن هناك احتلال، وشُطب الاستعمار من قاموس حياتنا، بالتأكيد ستتغير المعطَيات، فأنا إنسان عاطفي يحب الجميع، قنوع بما وهبني الله من نعم، لم أفكرْ أنْ أسطو يوما على طعام أحد، لم أروّعْ لا طفلا لا شيخا لا امرأة، لا شجرة لا طيرا ولا حيوانا، ولدت فوجدت بلدي مغتصبا يقبع تحت عصابات الاحتلال الصهيونية، وهناك سجلٌ من المذابح المرعبة بحق أهلي وشعبي وأرضي، انتصرت للوطن والإنسان، حتى نحيا بلادي حرة أبية. فيا أيُّها العالمُ الأصم، استيقظْ من غفوتك وأبصر الحقيقة، من الذي يستحق العقاب: المحتلُّ الذي يذبّح ويروّع ويدمر ويشرد ويصادر الأراضي والممتلكات، أم الفدائيُّ الذي يحب وطنه ويدافع عن أهله وقضى عمره أسيراً في زنزانة الموت؟!عالمٌ لا يسمع، لا يرى، لا يتكلم، وأكبر دليل حصار مليوني إنسان في قطاع غزة جنوب فلسطين لمدة تزيد عن أربعَ عشْرةَ سنة، ومازال الحصار مستمرا، حيث عاش أهل الجنوب السجن القسريّ، عزلوهم من ذاكرة العالم، فذاقوا ألوانا من عذابات الحصار حتى فقدوا قدرتهم على التحليق، عاشوا ضحية شرور تسكن أرواح عبيد السلطة في العالم، ركضت السنون ومازالوا صامدين.. تجاهل الناس حكاياتهم، فجاء العدل الإلهيّ متمثلا بفايروس كورونا، حيث اعتقلت المخلوقات البشرية أنفسها لتحمي نفسها من موت قادم، وبدؤوا يتحدثون عن الظلم الذي وقع على غزة وعن حصارها، ربما تستيقظ الضمائر ويعود الإنسان لرشده، رغم حزني وألمي على ضحايا الوباء، إلا أنني ما زلت أحلم أن يغتسل العالم من عاره ويستيقظ من غفوته وينحني خجلاً أمام قضية الأسرى والحصار، فالسجن هو موت آخر، لونٌ من ألوان العبودية، ينتزع آدمية الإنسان ويجرده من أحلامه فيكفينا ظلماً. خرجت من السجن بصفقة الأحرار، زرعت أرضي، وتزوجت الأسيرة المحررة" إيمان نافع". لم يرق للاحتلال- سارق الفرح- أن نعيش لحظة بأمان، تم اعتقالي وحُكم على بالسجن ثلاثين شهراً، وبعد انتهاء محكوميتي تفاجأت بقرار إسرائيلي يعيدنا إلى حكم المؤبد. كعادته يمارس الاحتلال جرائمه وبشاعته على الملأ، أمَا آن لنا أن نكسر أقفاصنا ونعيش بسلام ككل البشر؟

نائل البرغوثي من سجنه الذي بلغ الأربعين

■■ بقلم : وليد الهودلي

في ظلّ تهديدات الضمّ وتحدّيات غطرسة الاحتلال غير المسبوقة اكتب هذه الرسالة الممكنة من معين نبض أكثر من مكث في السجون في العالم اجمع نائل البرغوثي: ماذا تراني أقول وقد قاربت على إنهاء أربعين سنة في غياهب سجون بني صهيون، في أربعين سنة تدور السنة القمرية دورتها لتعود على ما كانت عليه بعد أن قطعت مراحل طويلة غاب فيها القمر وعاد كالعرجون القديم ثمانية واربعين مرة .. صحيح أنه قد أطلق سراحي في صفقة وفاء الاحرار، كان يوم عزة شهدت الاكوان لفرحته ولكن الفرحة لم تكتمل مرتين: مرة وقد غادرنا جزءً عزيزا منا بقوا في تلك الغياهب والمرة الثانية عندما نغصوا فرحة فرحة(أمي) في مماتها.. عندما تم اختطافي وإعادتي الى حالة محاق القمر من جديد حيث هذه الغياهب التي بتنا لا ندري متى سيؤذن لحياتنا أن نرى ضياء قمر فيها يبزغ من جديد. وهذا هو السؤال الذي أقف أمامه حائرا بعد هذا القيد الذي اشتد على معصمي من جديد: متى وكيف تأخذ حقها وتفرض ذاتها: مفردات :الفجر والضياء والقمر والنور وكل الذي يبدد الظلمات والغياهب .. متى وكيف نتوقف عن البكائيات ونسارع الى دائرة الفعل والتحرير؟ نبكي ونتباكى على أحوال ملّ الإعلام من الحديث عنها: الأسرى الأطفال والنساء والمرضى.. الاسرى المعزولين والجرحى والمضربون عن الطعام، المعتقلون إداريا وتعسفيا والمحاكم الهزلية والتنكيل الجماعي بأهالي الأسرى ، نعدد أرقاما وإحصائيات ونناشد مؤسسات حقوقية ومؤتمرات ، نشجب ونستنكر ونحزن ونبكي ، والنتيجة أننا قد أقنعنا أنفسنا بأننا قد قمنا بالواجب ولم يكن بالإمكان أفضل مما كان .. كما لا نرى بداية شهر قمري الا ببزوغ هلاله عندئذ نصدق بأن مرحلة من الضياء قد بدأت وأن غياهب الليل قد ولّت.. وإننا كذلك قد رأينا هلال فرج قد تولد من براثن العدوان وإننا ندرك بأن مخاضا عسيرا لا بد وأن يمر به إلا أنه في النهاية لا بد من بزوغ الفجر .. والاسرى خاصة تتزايد أعدادهم وهذا دأب الاحتلال فينا جيل بعد جيل : طالما أن هذا الاحتلال الاسود موجود تبقى السجون مفتوحة وتبقى المأساة قائمة .

– ولا بد من رسالتين في هذه المرحلة الحساسة أشعر بأنهما في غاية الضرورة:

الرسالة الاولى: رغم ضرورتها وخطورتها إلا أنها قد تبدو مملة ومكرورة من كثرة ما تكررت مفرداتها على مسامع الناس: الوحدة والتحرر من الانقسام: وما الجديد الذي سأضيفه ونحن الاسرى من عمق ظلمات بني صهيون ننظر الى المشهد الفلسطيني فنجده لا يقل ظلاما، كيف ننظر الى الفرقة والانقسام ونحن تحت مطرقة السجان وسندان الانقسام؟ والله إنه لعيب وعار أن يستمر هذا المشهد بظلامه الذي يزداد حلكة يوما بعد يوم .. لن أزيده وصفا وتشريحا وتحزينا وتجريما فالكل فينا يجيد الوصف .. سأذهب الى خارطة الطريق : يضعون لنا خارطة طريق بيننا وبين ألد أعدائنا الا نستطيع وضع خارطة طريق بين الاخوة المتخاصمون ؟ لقد اصبح الانقسام عميقا وخطيرا وهذا لم ينزل علينا فجأة وإنما كان له خارطة طريق وضعت بعناية واشتغل عليها بقوة .. سأذهب الى آلية عملية لان الغايات العظيمة إن لم توضع على آليات صحيحة لن نصل اليها البتة .. والالية التي أقترحها وأؤمن بها بقوة هي تشكيل هيئة موسعة ولتسمى مثلا : (مجلس حكماء فلسطين والعبرة ليست بالتسمية) وتكون شخصيات متفق عليها من قبل طرفي الانقسام شخصا شخصا على أن يوكل اليها توضيح معالم الطريق وأن يتفق مسبقا على أن تكون قراراتها ملزمة وهي المرجعية حالة وجود أية إشكالية وأن تكون صلاحياتها مفتوحة في كل ما له علاقة برأب الصدع وإنهاء الانقسام وتكون بمثابة صمام الامان للوحدة الفلسطينية . أشعر بأن هذا واجب الوقت وضرورة العمل ولا مفر منه عاجلا أم آجلا . وأرى أن شعبنا غني بالكفاءات الحكيمة والقادرة على رسم أفضل خارطة للطريق نحو الوحدة ومعالجة كل مسببات الانقسام والتشرذم تربويا وثقافيا ودينيا واجتماعيا وسياسيا لتصبح قيم الوحدة قيم سلوكية متأصلة في وجدان كل مكونات المجتمع تماما كقيم الديمقراطية في المجتمعات الديمقراطية .

الرسالة الثانية : وأمام الافواج الجديدة التي تدخل السجون كان لا بد من العمل على قاعدة درهم وقاية خير من قنطار علاج ، كيف نحمي أبناءنا وشبابنا وفتياتنا من الاعتقال ؟ كيف ننقل لهم الخبرة المتراكمة من الاجيال السابقة ؟ هل على جيل اليوم أن يبدأ التجربة من الصفر .. لا يسمع شيئا عن هذه الخبرات وإذا وقع باح بكل أسراره وجاء بكل جماعته وعشيرته دون أن يبقي منهم أحدا .. وفي الزنازين يدخل معركة الارادة وصراع الادمغة دون أن يكون مؤهلا لها .. هذه مسئولية جماعية تحتاج الى عمل دؤوب تربويا وثقافيا وبكل الوسائل الممكنة: الادب والفن والثقافة والتربية بحيث يكون الوعي وتربية الارادة وتجهيزها للمواجهة بكل قوة واقتدار هو أساس من الاسس التي تبنى عليها الشخصية الفلسطينية . وأختم رسالتي هذه وكلي أمل وثقة بأن هذا الشعب الذي حمل على عاتقه أقدس قضية لا بد وأن يكون على قدر هذه الأمانة وأن يصبر ويصابر ويثابر في مواجهة أعتى قوى الشر في هذا العالم .

جنرال الصمود.. الأسير الفلسطيني نائل البرغوثي

■■ بقلم : حسن العاصي
كاتب وباحث فلسطيني مقيم في الدنمارك

أتمنّى الاستلقاء ساعة فقط تحت شمس قريتي كوبر وفوق عشب ربيعها" هذا ما قاله الأسير الفلسطيني نائل البرغوثي لوالدته أثناء إحدى زياراتها لقليلة إليه في أحد السجون الصهيونية. لأن والدة نائل اعتادت أن تقوم بزيارة والد نائل المعتقل في سجن آخر من سجون النازيين الإسرائيليين، فيما كانت شقيقة نائل الوحيدة هي من يقوم بزيارته حين تسمح لها سلطة السجون، وبدأت بهذه المهمة منذ أن كان عمرها 14 عاماً. وكان عمر البرغوثي شقيق نائل الأكبر أيضاً معتقلاً في سجن ثالث، وكانت زوجته تزوره. توفي والد نائل في عام 2004 دون أن يرى ابنه، وتوفيت والدته عام 2005 دون أن ترى نائل وهو يحقق حلمه في معانقة شمس الحرية. استمرت حنان البرغوثي في زيارة شقيقها في السجن، إلى أن منعتها السلطات الصهيونية من الزيارة عام 2006. الأسير الفلسطيني نائل البرغوثي جنرال الصمود، اعتقلته قوات الاحتلال الإسرائيلية في أبريل/نيسان عام 1978 من منزله في قرية تسمى "كوبر" تقع شرقي مدينة رام الله في الضفة الغربية، وكان عمره 19 عاماً، اتهمته إسرائيل بقتل أحد جنودها، وحكمت عليه بالسجن المؤبد إضافة إلى 18 عاماً. وبهذا يكون قد أمضى في زنازين الاحتلال الصهيوني 42 عاماً. وهو الآن في العقد السادس من العمر. ويعتبر أقدم سجين سياسي في العالم.

■■ اعتقال بعمر مبكر

في 1972، كانت أولى محطات العمل الثوري الفعلي للبرغوثي، إذ انخرط مبكراً في التظاهرات، ونجح في إنشاء علاقات مع الشباب الثوار الذين يكبرونه سناً في جامعة بيرزيت. فمنذ أن كان صبياً صغيراً شارك جنرال الصمود الأسير نائل البرغوثي في مقاومة قوات الاحتلال والقهر الصهيونية، فكان يصعد إلى سطح منزل العائلة ويقوم برشق جنود وآليات الاحتلال بالحجارة عند مرورها. وعندما كبر كان يذهب إلى مدرسته في بلدة بيرزيت المجاورة مشياً على الأقدام، يقطع وادي القرية ويجمع الحجارة الصلبة داخل حقيبته المدرسية، حتى يرشق بها جنود لاحتلال، وكان يقول إن حجارة الوادي أقوى من أي حجارة أخرى، ولها صوت وتأثير أكبر. كان نائل في صغره ـ ولا يزال ـ شعلة من النضال، يقود التظاهرات ودائماً ما يكون في الصفوف الأولى في مواجهة الاحتلال، حتى أطلق عليه المناضلين "أبو اللهب" نسبة إلى شخصيته القيادية الثورية، هو اللقب المؤقّت الذي لازم نائل منذ السبعينيات حتى بداية التسعينيات، وأُطلق عليه لشهرته في إشعال إطارات السيارات خلال المواجهات في مدينة بيرزيت، وفي الأسر أطلق عليه رفاق الأسر لقب "أبو النور".اعتقل أول مرة خلال إحدى المواجهات مع الاحتلال في الثامن عشر من ديسمبر عام 1977 وحُكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر، وعقب الإفراج عنه بـ 14 يوماً، تم اعتقاله مرة أخرى بتهمة مقاومة الاحتلال. ثم اعتقل العدو شقيقه الأكبر عمر، وابن عمه فخري البرغوثي، وحُكم على ثلاثتهم بالسجن المؤبد بتهم قتل ضابط إسرائيلي شمال رام الله، وحرق مصنع زيوت داخل الأراضي المحتلة عام 1948، وتفجير مقهى في القدس المحتلة. داخل قاعة محاكمتهما، رفض الشقيقان وابن عمهما الاعتراف بشرعية محكمة العدو والإقرار بالذنب أو طلب الاستعطاف، فبدأ القاضي العسكري بالصراخ، وضرب بيديه على الطاولة وقال مؤبد، مؤبد، مؤبد. على إثر صدور الحكم وقف الثلاثة وبدأوا في ترديد الأغنية الوطنية "ما بنتحول ما بنتحول يا وطني المحتل... هذي طريقنا واخترناها وعرة وبنتحمل" ثم أطلقت الحاجة فرحة البرغوثي والدة الأسرى الزغاريد فخراً بأبنائها.

■■ خروج مؤقت

بعد أن قضى نائل 34 عاماً في السجون الإسرائيلية، أمضى آخر خمس سنوات منها دون أي زيارة من أحد أفراد عائلته، بعد وفاة والدته ووالده واعتقال شقيقه، ومنع شقيقته من الزيارة. نال البرغوثي حريته في عام 2011 في صفقة "شاليط" سميت كذلك على اسم الجندي الإسرائيلي الذي خطفته حركة حماس وبادلته ضمن صفقة مقابل إفراج إسرائيل عن 1148 أسيراً فلسطينياً من سجونها. خرج الأسير نائل البرغوثي بعد الإفراج المؤقت عنه، فرضت قوات الاحتلال الصهيونية عليه الإقامة الجبرية في قريته، ومنع من الخروج من مدينة رام الله وقراها، وخلال هذه الفترة ظل أسيراً داخل بلدته كوبر شمال شرق رام الله، وحرم من زيارة أي بلدة أو مدينة في الضفة الغربية، وليجد والديه قد توفيا، وأن شقيقه عمر وابن شقيقه عاصم في المعتقل. أصر أن ينام على سرير والدته في منزل العائلة. ثم بعد شهر واحد من الإفراج عنه تزوج من الأسيرة المحررة "إيمان نافع" بناء على وصيه والدته، وعاشا سوياً لمدة 31 شهراً، قبل أن تقوم قوات الاحتلال باعتقاله مجدداً عام 2014 مع أكثر من 70 أسيراً محرراً، وتعيد له حكمه السابق في السجن المؤبد. يقبع جنرال الصمود الأسير الفلسطيني نائل البرغوثي داخل زنزانة في سجن صهيوني، لا يزوره أحد سوى زوجته التي تحاول سلطات السجون منعها من الزيارة بذريعة أنها أسيرة سابقة، لذلك تضع العراقيل بهدف حرمانها من زيارة زوجها.

■■ عاشق الحرية

إيمان نافع زوجة نائل تقول إنه منذ أن تزوجا كان نائل يخرج كل يوم من المنزل بعد صلاة الفجر، يذهب إلى الأرض فهي المقدسة بالنسبة إليه، يعتني بها ويزرعها، كان يعشق الأزهار التي تنمو في الجبال. قام بزرع أشجار البرتقال والليمون، ولم يتمكن من تذوق ثمارها. لقد تحول نائل البرغوثي إلى أيقونة فلسطينية نضالية، تجسد صمود وإصرار الشعب الفلسطيني على انتزاع استقلاله وحريته وإقامة دولته. لم تتبدل قناعاته ولم يهتز إيمانه العميق بعدالة قضية شعبه وحقه في الحياة. بل استمر "أبو النور" كما يلقبه زملاءه الأسرى، في التبشير بالقيم النضالية، قيم التحرر من نير الاحتلال، قيم الحرية والإنسانية.

■■ عائلة البرغوثي المناضلة

ينتمي نائل البرغوثي إلى عائلة فلسطينية من قرية كوبر شمال رام الله قدمت الكثير من التضحيات. فالأسير المحرر "فخري البرغوثي" ابن عم نائل تم اعتقاله عام 1978 كان متزوجاً وزوجته حامل بابنه شادي، وعندما تم إطلاق سراحه بعد ربع قرن قضاها في السجون الإسرائيلية، كان قد تمّ اعتقال ابنه شادي وحكم عليه بالسجن 27 عاماً بتهمة مقاومة الاحتلال. يقول فخري: كنت أتمنى أن يفرج عن ولدي فقد كان من الصعب عليّ أن أتركه مرتين، مرة عندما تم اعتقالي وكان جنيناً في بطن أمه، ومرة حين خرجت من المعتقل ولم أجده وهو في العشرينيات من عمره. ثم تم اعتقال ابنه الثاني "هادي البرغوثي" وخرج من المعتقل بعد خمس سنوات. وكان فخري البرغوثي قد التقى بولديه هادي وشادي في الأسر بعد أكثر من 20 عاماً، حيث اللقاء أبكى الأسرى جميعاً. عمر البرغوثي شقيق نائل هو أيضاً أسير سابق أمضى 26 عاماً في سجون الصهيونية النازية وتم الإفراج عنه عام 1985 ضمن صفقة تبادل، وتعرض بعد ذلك إلى اعتقالات كثيرة. عاصف البرغوثي ابن عمر، حاول تنفيذ عملية من أجل عملية تبادل بهدف الإفراج عن عمه نائل، إلا أن العملية انكشفت واعتقل عاصف عام 2007 وحكمت عليه المحكمة الإسرائيلية 12 عاماً. في عام 2018 اعتقلت قوات الاحتلال عاصف مرة أخرى بتهمة تنفيذ عملية إطلاق نار أدت إلى إصابة 10 إسرائيليين قرب مستعمرة "عوفرا" شرق رام الله. وبعد أسبوع قامت وحدة إسرائيلية خاصة باغتيال صالح البرغوثي شقيق عاصف بتهمة المشاركة في العملية. ثم قامت قوات الاحتلال بهدم منزلي عاصف ومنزل والده. وحين بلغ خبر استشهاد صالح والدته قالت "إن استشهد صالح فهناك مليون صالح، وليس كل إنسان يكرّمه الله بالشهادة، ثم إن لكل منا عمر محدود (لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) وأبناء حنان البرغوثي الثلاثة عناد وعبد الله وعمر معتقلين في سجون الاحتلال. حنان شقيقة نائل الوحيدة تقول إنه أثناء إحدى زياراتها لنائل في المعتقل سمحت سلطات الاحتلال لأحد الأطفال الصغار بالدخول عند الأسرى، فضم نائل الطفل بحرارة، حينها أحسست كم كان يتمنى أن يحتضن طفلاً له، وعندما رآني أبكي، قال لي: لا تبكي يا أختي فإن كل أطفال فلسطين أبنائي.

■■ وجع لا يبارح

ملف الأسرى الفلسطينيين الأبطال الصامدين القابعين في زنازين السجون الإسرائيلية، من أبرز الملفات المؤلمة في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني. قضية الأسير نائل البرغوثي هي قضية نحو سبعة آلاف أسير فلسطيني يقبعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بينهم أكثر من أربعمئة طفل وطفلة، أصغرهم الطفلة "ديما الواوي" ابنة الثانية عشرة، وسبعون أسيرة فلسطينية، أقدمهن "لينا الجربوني" من المناطق المحتلة عام 1948 والمعتقلة منذ أربعة عشر عاما. من بين الأسرى ما يزيد على خمسمئة أسير يقضون أحكاما بالسجن المؤبد لمرة أو مرات عدة، وهناك أسرى تم اعتقالهم أطفالاً كبروا وهرموا في السجن. فهناك أربعين أسيراً قد مضى على اعتقالهم عشرون عاما، وسبعة عشر أسيراً مضى على اعتقالهم أكثر من خمسة وعشرين عاما، وسبعة أسرى مضى على اعتقالهم أكثر من ثلاثين عاما. يوجد في المعتقلات الصهيونية سبعمئة معتقل إداري دون تهمة أو محاكمة، وستة نواب في المجلس التشريعي الفلسطيني، ووزير سابق، وسبعة عشر صحافيا، ومئات من الأكاديميين والكفاءات العلمية والرياضيين. ومما يدمي القلوب وجود قرابة ألف وسبعمئة أسير يعانون من أمراض مختلفة، بينهم مئة وثمانون أسيراً يعانون من أمراض خطيرة، وخمسة وعشرون أسيراً يعانون من مرض السرطان، بالإضافة إلى سبعين أسيراً يعانون من إعاقات جسدية ونفسية وحسية، بعضهم من فقد القدرة على الحركة، في ظل استمرار سياسة الإهمال الطبي المتعمد، الأمر الذي يفاقم من معاناتهم ويشكل خطرا على حياتهم. و30 اسيرا مدرجون على قائمة انتظار الموت. وهناك 73 أسيراً استشهدوا تحت التعذيب و75 استشهدوا نتيجة القتل العمد بعد اعتقالهم و67 استشهدوا نتيجة الاهمال الطبي. إن إلقاء نظرة فقط على العام 2019 يكشف أرقام مرعبة عن حجم معاناة الأسرى نتيجة سياسات البطش والقمع التي تعتمدها قوات الاحتلال الفاشية، حيث استشهد العام الماضي 5 أسرى نتيجة التعذيب، ليبلغ عدد الأسرى الشهداء 222 شهيداً. كما شهد العام الماضي قيام قوات الاحتلال باعتقال خمسة آلاف وخمسمائة معتقلاً إدارياً، بمعدل 14 حالة اعتقال يومياً. الاعتقالات شملت 1100 حالة لأسرى سابقين، واعتقال 790 طفلاً، واعتقال 152 لفلسطينيين يعانون أمراضاً مزمنة، واعتقال 120 امرأة وفتاة فلسطينية. هذه الجرائم كافة ارتكبها الاحتلال في عام 2019 فقط، فيما العالم غير المتحضر يعاني من ارتجاج دماغي، لأنه ينتصر لضحايا التمييز في مكان، ويتجاهل قتل وقهر الأبرياء في فلسطين المحتلة على يد قوات الفاشيين الجدد.

■■ خارج الزمن

خلال فترة اعتقال نائل البرغوثي التي استمرت 42 عاماً، فقد والده ووالدته. وشقيقته ذات 12 عاماً كبرت وتزوجت وأنجبت وأصبحت جدة، ولديها ثلاثة أولاد معتقلين هم عناد وعبد الله وعمر. تقول شقيقته: كنت أحمل عمر بين ذراعي عندما كنّا نزور نائل، واليوم هو زميله في الأسر. الحاجة فرحة البرغوثي والدة نائل لم تعرف الكلل أو الملل، وجابت غالبية سجون العدو لزيارة ابنَيها نائل وعمر، كما خاضت معظم الإضرابات خارج السجون تزامناً مع إضراب أبنائها في الداخل. قبل وفاتها بيوم واحد، انتظرها الشقيقان نائل وعمر ليسمعا صوت والدتهما في برنامج إذاعي عن الأسرى حيث قالت على الملأ "وصيتي لكم درهم شرف خير من بيت مال يا أحباب قلبي" وفي اليوم التالي توفيت بتاريخ 19/10/2005. إن استمرار اعتقال نائل البرغوثي وزملاؤه الأسرى لمدة تزيد عن 40 عاماً، يعني أن هناك خللاً في المنظومة الدولية الإنسانية، وانهياراً في القيم الأخلاقية والحقوقية الأممية. وسقوط مرعب لشعارات الحرية والعدالة الإنسانية. سوف تظل شرعة حقوق الإنسان معتقلة ما دام البرغوثي والأسرى الفلسطينيين الآخرين معتقلين في زنازين الفاشية الصهيونية. وما قيمة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بمواده الثلاثون، إن لم تستطع الجمعية العامة للأمم المتحدة والدول الموقعة عليه من صيانة وحماية الإعلان واحترام توقيعها عليه. وما نفع اللجان والمنظمات الحقوقية الرسمية والشعبية العربية والإقليمية والدولية، إذا لم تتمكن من الضغط على الاحتلال الصهيوني لإجباره على إطلاق سراح الاسرى الفلسطينيين من معتقلاته، وهم الذين اعتقلوا وسجنوا ظلما وعدواناً، في انتهاك واضح وخطير لكافة الأعراف الدولية التي تبيح مقاومة الاحتلال أياً كان اسمه وهيئته. ليس كافياً أن نجعل للأسرى يوماً في العام، نكيل لهم المديح عبر الخطب والمهرجانات. ليس كافياً ـ على أهميته ـ الكتابة عن/حول الاسرى في الصحف والمجلات والتحدث عنهم في وسائل الإعلام الأخرى. ليس كافياً إطلاق المناشدات الأخلاقية، فعدونا لا يقيم للأخلاق وزناً، فمشروعه الصهيوني في الأساس قام على القتل والتهجير والتدمير. على عاتق الجميع بلا استثناء تقع المسؤولية الأخلاقية لإطلاق حملة فلسطينية وعربية ودولية للضغط على الاحتلال وإلزامه بالإفراج عن الأسير البرغوثي، وبقية الأسرى الفلسطينيين من زنازين الصهاينة، وخاصة الأسرى القدامى والمرضى وكبار السن والأطفال والأسيرات الماجدات.

نائل البرغوثي: جهنم "تذوب" أمام جمر يكوي الأسير دون استسلام

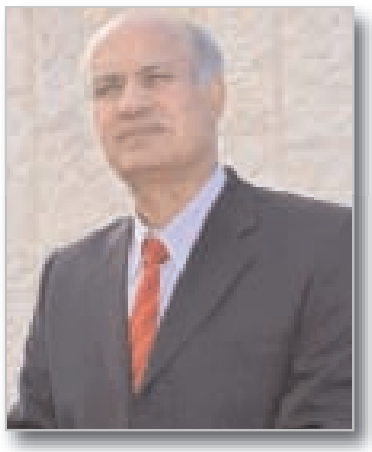

■■ بقلم: بسام الكعبي

تعطّلت حافلة صغيرة ظهيرة الاثنين 17 حزيران 2014 على الطريق الريفية الضيقة؛ فأربكتْ حركة السيارات المتجهة للمشاركة في تشييع جثمان المناضل خضر العالم (أبو حازم) في بلدة كفرعين شمال مدينة رام الله في الضفة الغربية المحتلة. فجأة أطل نائل البرغوثي أمام بصري طالباً من السائق السماح له بالصعود لكسب الوقت بغرض الصلاة على جثمان رفيق دربه (أبو حازم). جلَس نائل بجوار مقعدي في حافلة واصلتْ طريقها بسرعة إلى قرية كفرعين، وسَرد لي تفاصيل اللقاء الأول مع (أبي حازم) في سجن رام الله العسكري أواسط السبعينات: مناضل مخضرم قضى سنوات طويلة في سجون الاحتلال البريطاني، ثم سجون النظام الأردني وسجون الاحتلال الإسرائيلي، وظل خضر العالم وفياً للمقاومة الفلسطينية ولم ينكسر..وقال لي نائل: الوفاء لتاريخ المناضل المتماسك؛ يفرض واجب المشاركة في تشييع جثمانه..وكنتُ أظنُ أني سألتقي نائل لاحقاً في رام الله، لكن الاحتلال حجب اللقاء! في اليوم الثاني للتشييع جثمان (أبو حازم) أقدم الاحتلال فجر الثلاثاء 18 حزيران 2014 على اعتقال نائل إلى جانب 60 أسيراً محرراً ضمن صفقة (وفاء الأحرار) أواسط تشرين ثاني 2011؛ بذريعة قيام خلية مسلحة باختطاف وقتل ثلاثة مستوطنين جنوب الضفة الغربية أواسط حزيران 2014، وأعتبر الإجراء الإسرائيلي عقاباً جماعياً لمحررين لا علاقة لهم بالأمر..ومنذ ست سنوات جدد نائل ورفاقه المختطفين قسراً السير على الجمر في درب آلام قاسية لا طاقة للبشر على تحمل جمرها.

■■ نبض طائر

منتصف فترة اعتقاله الطويل (4 نيسان 1978 – 18 تشرين أول 2011) روى لي نائل حكايته مع عصفور صغير: مطلع نيسان 1997 تجول مع رفاقه في ساحة معتقل نفحة الصحراوي، تحت شمس صباحية فاترة، وطار بصره فجأة إلى عصفور بحجم قلبه، تمدد دون نبض في رمل ساحة الفورة: خَطَفه (أبو النور) على الفور، نفض عنه حبيبات النقب الصفراء، مَسَح مراراً على قلبه الساكن، ووضَعَه تحت جرزة صوف لعله يخطف قليلاً من دفئ قلب طاهر. إستعاد العصفور وعيه بمعجزة السماء بعد دقائق من "المعالجة" بوسائل متاحة لأسير يتحدى قسوة السجّان في صحراء النقب؛ أطعَمه، وبلّل حلقه بقطرات ماء؛ لمواجهة جفاف في صحراء قاحلة. إستَردَ الطائر روحه وحرك جناحيه استعداداً للطيران. تأمل الرمادي بدقة ملامح المسعف الوسيم، "طالباً" إستكمال مهمة المنقذ ومساعدته على التحليق. قفز إلى الفضاء مترنحاً، لعله يتجنب السقوط مغشياً عليه فوق الرمل الأصفر الجاف خارج أسوار المعتقل، بفضل وظيفة جناحيه وبراعة احترافه في التحليق! تمنى نائل أن يحلق عصفور الشمس حراً في السماء، يحمل أنفاسه التي نفخ بها في صدره ليخفق بجناحيه عالياً، ويفترس كطائر رعد لهيب الشمس، يكفيه قيد سلاسله منذ عشرين عاماً (في ذلك الوقت). حَزنَ نائل لاحتمالية الموت التي تربصتْ بالرمادي الجميل، وكتب يخاطب الجناح الغائب عن البصر:« لَمْ تتركنا وحدنا؟ لقد تَحمَلتَ بشجاعة تبعات إصرارك على مرافقتنا من منفى إلى آخر، من شمال أخضر يانع إلى جنوب أصفر قاحل. رفَضتَ كل محاولات الغزاة بدفننا في الصحراء، ومنحتنا صلاتك الخاصة عند كل فجر، لعل تغريدتك الفلسطينية المتفجرة بالجمال والإيمان، تزهر فينا الأمل بالحرية والانتصار على السجّان. أنت تشدو في صحراء واسعة مخيفة دون خوف. لروحك الشجاعة التي سلمتنا القوة والتماسك والصبر..السلام والطمأنينة".

■■ المولود الثاني

رزق صالح البرغوثي وزوجته فرحة بالمولود الثاني (نائل) ظهيرة 23 تشرين ثاني 1957 في قرية كوبر شمال رام الله، وانتمى الصغير إلى عائلة عريقة تعود جذورها إلى قرية دير غسانة المجاورة في قضاء رام الله. تعلم نائل في طفولته المبكرة كيفية إشعال سيجارة الهيشة من جده عبد الله، الذي عاش مائة عام، وتنقل في عدة بلدان أثناء خدمته العسكرية مع الجيش التركي، ولاحقاً، ساعده ذلك على توفير ولعة للسجائر في زنازين الاحتلال. بدأ مشواره المدرسي عندما التحق سنة 1963 في الصف الأول ابتدائي بمدرسة كوبر. انتقل نائل إلى مدرسة الأمير حسن في بلدة بيرزيت بعد إنهاء المرحلة الابتدائية، وطالب أستاذه كمال حنون بأن تحمل المدرسة إسم الثورة. رمَقه الأستاذ بنظرة يختلط فيها الاعجاب بالغضب من طالب متمرد: بدك تغيّر إسم المدرسة يا نائل بسيف عنتر! المدرسة اقيمت قبل ولادتك بسنوات طويلة وحملتْ إسمها؟ لم يقتنع نائل بالأجوبة القاسية التي كان يتلقاها من معلميه رداً على اقتراحه المتمرد. أنهى المرحلة الاعدادية سنة 1972 وانتقل إلى المرحلة الثانوية في نفس المدرسة، لكنه دخل طوراً جديداً من التمرد، ونشط كطالب بارز في التظاهرات، ونسج علاقات مع طلبة ناشطين في جامعة بيرزيت. ليل 10 نيسان 1973 إغتالت مجموعة "كوماندوز" إسرائيلية في بيروت ثلاثة من كبار قادة حركة فتح: كمال ناصر، كمال عدوان وأبو يوسف النجار. شهدت بيرزيت، بلدة الشاعر كمال ناصر، تظاهرات طلابية استنكارا لعملية التصفية الجسدية، وتقدم صفوفها نائل، كما شارك بتظاهرات يوم الأرض 30 آذار 1976. اكتسب نائل لقبه (أبو اللهب) من نيران عجلات السيارات التي كان يشعلها في شوارع بيرزيت خلال التظاهرات، ومن قبعة جلد سوداء كان يرتديها مقولبة على رأسه أثناء المسيرات. بات نائل عرضة لاستدعاء واستجواب المخابرات الإسرائيلية في مقر الحاكم العسكري (المقاطعة) في رام الله. واصل أواخر 1976 اهتمامه بنقاش الفلسفة الماركسية والمادية التاريخية، وناصر الطلبة من أجل تعريب المناهج في جامعة بيرزيت، وساند اندلاع إضراب الأسرى في سجن عسقلان بتظاهرة طلابية ساهمت باحتجازه في خريف 1977 بمعتقل رام الله، وقد إلتقى بأول أسير في غرف السجن: الحاج شريف من قرية ترمسعيا شمال رام الله. أصيب نائل بالدهشة عندما عَلم أن الحاج شريف محكوم بالسجن الفعلي عشر سنوات منذ عام 1969 وقضى منها ثماني سنوات، وتساءل في سره: كيف قضى الحاج شريف كل هذا العمر في السجن؟ مِنْ أينَ يعلم نائل البرغوثي عدد السنوات الطويلة التي سيقضيها في سجون الاحتلال؟!

■■ السجن المؤبد!

أطلق الاحتلال سراح نائل البرغوثي أواخر كانون ثاني 1978 لعدم انتزاع لائحة إتهام، ثم إلتحق بالكتيبة الطلابية أحد أبرز أذرع حركة (فتح). داهم الاحتلال منتصف ليلة 4 نيسان 1978 منزل نائل بعد إنكشاف أمر مجموعته المسلحة. تعرضْ أفراد الخلية طوال أربعة أشهر للتحقيق، قبل الاحتجاز ستة أشهر في سجن رام الله، وتلقي أحكاماً قاسية بالسجن المؤبد. نقل أواخر 1978 بعد صدور حكم المؤبد إلى سجن بئر السبع في النقب المحتل، وتعرض لضرب مبرح أثناء عملية النقل. قَطعَ نائل لأول مرة في حياته الطريق الطويل إلى بئر السبع، وصل السجن ينزف ألماً شديداً من أسنانه التي حفرها طبيب عيادة سجن رام الله وتركها مكشوفة دون علاج، وإنتظر ثمانية أشهر حتى وفرتْ الإدارة علاجاً للعصب المكشوف. إلتقى الأسير نائل البرغوثي في ساحة "فورة" زنازين عزل معتقل بئر السبع بالأسير الكفيف محمود أبو دنهش، من بلدة حلحول. إهتم به ووفر احتياجاته الشخصية بسبب فقدان بصره خلال اشتباك مسلح. ليلة 14 آذار 1979 داهم نائل حلماً في منامه: رافق الأسير أبو دنهش في صعود منطقة جبلية مرتفعة تقع على أطراف أحراش أم صفا غرب رام الله، وقبل بلوغ شارع رئيسي مجاور للأحراش، مَزقَ أبو دنهش مخدته التي كان يحملها معه، وأطلق ريشها في الهواء ولحق بالريش نحو قمة الجبل العالية، فيما علق نائل مع مخدته بين صخور الوادي. في الصباح روى بعفوية حلمه لرفيقه الأسير الكفيف؛ وقد مضى على معاناته عشر سنوات في الزنازين. صبيحة اليوم التالي 15 آذار، تحقق حلم نائل وحلق أبو دنهش خلف ريش مخدته برفقة 76 أسيراً وأسيرة. طار المحررون من مطار اللد على متن الخطوط الجوية النمساوية، قبل هبوط طائرتهم بمدرجات العاصمة فيينا في طريقهم إلى الجزائر، وذلك باطار صفقة للتبادل أطلقت عليها الجبهة الشعبية (القيادة العامة) عملية النورس. قضى نائل خمس سنوات يتنقل بين سجني بئر السبع وعسقلان، قبل نقله إلى سجن جنيد غربي نابلس، وقد شهد نقاشاً فكرياً وسياسيا حول حصار بيروت صيف 1982، وأسباب خروج المقاتلين، وشهد في سجن عسقلان انقسام حركة فتح في 9 أيار 1983. افتتح الاحتلال سجن جنيد سنة 1984، وبدأتْ عملية نقل الأسرى إلى أقسامه المختلفة. وصل نائل السجن مع الدفعة الثالثة قادماً من معتقل عسقلان يوم 29 تموز 1984، بعد ثلاثة أسابيع على افتتاح المعتقل، وكانت بقايا رائحة الغاز تنتشر في أقسام السجن الجديد عقب إحتجاج الأسرى على اكتظاظ الغرف.

■■ زنزانة تفترس أحلامه!

استعدتْ إدارة معتقل جنيد، عقب تنفيذ صفقة تبادل الأسرى، لاعادة إحكام السيطرة على المعتقل. اتخذتْ الإدارة اجراءات تحظر اختلاط الأسرى فيما بينهم، تمرد الأسرى على اجراءات السّجان، ودخلوا في مواجهات مع الادارة، وأعلنوا اضرابات متكررة ومتقطعة طوال ثلاثة أعوام، حتى بلغوا الاضراب المفتوح يوم 25 آذار 1987 وتواصل عشرين يوماً، وعلق باتفاق مع الإدارة صبيحة 9 نيسان. تأقلم نائل على وجوده في زنزانة تطل من الطابق الثالث على شرق نابلس، ورسم طقوساً خاصة به: يراقب يوميا شروق الشمس على منازل المدينة وتلالها المرتفعة، ثم يتأمل ليلاً القمر والنجوم، ويرصد حركة كل نجمة في السماء وتوقيتها. أطلق أسماء خاصة به على النجوم وسجلها في دفتره الفلكي، وعشق واحدة سمّاها بالم الجامح لقوتها الهائلة وجنوحها البارز السماء، تمنى مراراً لو طار في الفضاء مح على جناحها، أدرك سر تأملها الدائم وتعا بجنوحها: التشابه المشترك في التم والتحدي. راقب على الأرض تمدد مخيم ع بيت الماء، وشَهَد طوال ثماني سنوات غيا البيوت المتلاصقة بالتدريج خلف العمارا العالية، وشاهد بانتظام زاوية من مستشف الاتحاد، وعمارات إسكان المهندسين، وأج من جامعة النجاح، وجامع المخفية، ومدر كمال جنبلاط، وطريق زواتا وحركة السيارا على الشوارع، وكان سعيداً بمشهد تم المدينة وتغيّر معالمها كل يوم أمام بصره، لّ إكتشف سر حزنه: شهد مطلع التسعينيات ب حفريات لبناء عمارتين بمواجهة شباك غر تماماً. إنتهى تحت بصره حفر الأساسات. بدأ عملية بناء الطابق الأول، الثاني، الثالث، الر والخامس. تشطيب العمارتين وتجهيزه للسكن. لاحظ الاضاءة تغزو الشقق بالتدري شهد حفلات أعراس وسيارات الفرح. د بالصغار يركضون ببراءة في ساحة العمارت دون أن يدرك سكان العمارتين سر "المتلصص من شباك زنزانة رقم (12) يتأمل بصمت ف الزمن المتوحش ينهش عمره بين جدران زنزا قرر مطلع 1992 الإلتزام بالصلاة، واتخذ خط واضحة بتغيير لقبه من (أبو اللهب) إلى (النور) وتخلى طوعاً عن لقبه الذي طارده خم عشر عاماً. واظب على قراءة الكتب الاسلا المتوفرة بمكتبة السجن، وابتعد بالتدريج، د عداء، عن الفكر القومي التقدمي اليساري الذ اعتمده أداة تحليل في فتوته، وتحديداً م إلتحاقه بنشاط الحركة الطلابية وفعالياتها الوطنية في مدرسة الأمير حسن (بيرزيت).

أبو النور.. 40 عام

ومازال ينير بصموده عتمة السجون

■■ بقلم :الاستاذ ياسر مزهر
عضو لجنة الاسرى للقوى الوطنيه والاسلاميه

معتقل مند عام 1977..صاحب عزيمة لا تلين..لم تهزه سنوات السجن وعتمة زنازينه..بل أضائها بنور وعيه وثقافته وجبروته..وبقي جبلاً شامخا كما جبال جرزيم وعيبال انه نائل البرغوثي "أبو النور" إبن بلدة كوبر الواقعة بالقرب من مدينة رام الله بضفتنا الأبية. ولد اسيرنا البطل بتاريخ 1957/10/23، واعتقل اسيرنا بالمرة الأول عام 1978 خلال مواجهات مع الاحتلال في بلدة كوبر، وحكم العدو الصهيوني عليه لمدة 3 شهور بتهمة القاء الحجارة، وبعد ان امضى مدة حكمه، خرج ليعتقل للمرة الثانية بعد 14يوم من الافراج عنه مع رفيقه وقريبه الأسير البطل فخرى البرغوثي وحكم عليه هذه المرة بالسجن المؤبد و18 عام، بتهمة تنفيد عملية قتل لسائق حافلة صهيوني يدعى مردخاي ياكويل. يعتبر اسيرنا البطل نائل الفلسطيني الأول الذى يمضى 40 عام داخل السجون وهى أطول مدة يمضيها اسير فلسطيني داخل السجون الصهيونية، كما يعتبر أبو النور أحد رموز الحركة الاسيرة وأحد ايقوناتها. وكان العدو الصهيوني قد رفض الافراج عنه في العديد من صفقات التبادل، والافراجات التي تمت في اطار المفاوضات بين السلطة والعدو الصهيوني خلال فترة اعتقاله الطويلة.40 عاما هي مجموع ما أمضاه الأسير البطل نائل البرغوثي في سجون العدو، 34 عام منها بشكل متواصل.أفرج عن أبو النور في صفقة وفاء الاحرار بتاريخ 2011/10/18 والتي تم بموجبها الافراج عن 1027 اسير واسيرة ،وبعد الافراج عنه مباشرة فرضت عليه الإقامة الجبرية ومنع من الخروج من بلدته كوبر ومدينة رام الله القريبة. تزوج أبو النور بعد شهر واحد من الافراج عنه من الأسيرة البطلة ايمان نافع، وعاش معها 30 شهر فقط. إلتحق اسيرنا أبو النور بجامعة القدس المفتوحة تخصص تاريخ، حيث كان يرفض الالتحاق بأي جامعة عبرية وهو في السجن. كان الأسير نائل شعلة في النضال والمواجهة مع العدو الصهيوني قبل الإعتقال وبعد الإعتقال وكان من أشرس الأسرى في مواجهة ادارة مصلحة السجون. خلال فترة اعتقاله الطويلة فقد اسيرنا والده ووالدته ومرت خلال إعتقاله الكثير من الأحداث المحلية والعالمية. أعيد اعتقال أسيرنا البطل بتاريخ 2014/6/18 بعد خطف 3 مستوطنين من محافظة خليل، وحكم الأسير نائل بعدها بالسجن لمدة 30 شهر، وبعد قضائهم رفض العدو الافراج عنه، واعادوا له حكمه السابق وهو مؤبد و18 عام. وهنا لا بد أن يسجل شعبنا وكافة مؤسساته الرسمية وفائها للأسير القائد والرمز نائل البرغوثي وذلك من خلال العديد من الأمور ومنها تدريس سيرته النضالية في المدارس والجامعات، وإطلاق اسمه على أكبر وأهم الشوارع في الصفة وغزة، ووضعه على رأس قائمة الإفراجات في أول صفقة تبادل قادمة أو مفاوضات سياسية.

الحرية للأسير نائل البرغوثي ولكل اسرانا الابطال.

أسيرٌ مُحرر، ومحررٌ أسير

بقلم: أ.د.جمال عبد الناصر محمد أبو نحل

كم من رجل يُعد بألف رجل وكم من رجالٍ يمرون بلا عداد،، وكم من هو حاصر سجانه وانتصر علي الظالمين المحتلين، فكان حرا بروحه وفكره وعشقه لوطنه، والسجان الجلاد هو الاسير بظلمه وجهله وسفاقته!؛ إننا اليوم أمام أكبر أبطال فلسطين والعالم جبل شامخ في العلياء، رجل بالف رجل، قائد وطني حر ب غم السجن والسجان،، إنه الاسير البطل الماجد نائل البرغوثي اقدم اسير فلسطيني، ولد نائل في أبريل/نيسان 1978 م، في قرية كوبر شمالي رام الله بالضفة الغربية،، واعتقل وهو شاب صغير لم يجاوز 19 عاما.. اتهمته عصابة كيان الإحتلال الإسرائيلي بقتل أحد جنودها، وحكمت عليه بالسجن المؤبد. وقد وامضي أربعين في الأسر وهو أقدم أسير سياسي في العالم. وقد عاني الامرين من المحتلين المجرمين؛ حيث توفي والداه صالح وفرحة البرغوثي وهو في المعتقل. علما ان الاسير البطل نائل البرغوثي أفرج عنه عام 2011 بعدما قضى 34 عاما متواصلة في الأسر ثم أعاد الاحتلال اعتقاله بعد ثلاث سنوات . كان الأسير واحدا من مئات الأسرى الذين شملتهم صفقة التبادل بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل عام 2011، بعدما قضى 34 عاما متواصلة في الأسر، إلا أن الاحتلال أعاد اعتقاله مع أكثر من 70 محررا في صفقة شاليط. وقد اعيد اعتقاله وحُكم على البرغوثي بالسجن 30 شهرا بعد اعتقاله الثاني، لكنه فوجئ بعد انتهائها بقرار الإحتلال واعادته لحكم حكم المؤبد. إن بطش الطغاة المحتلين وعلوهم الكبير يؤكد قرب سقوطهم وزوال كيانهم الغاصب لفلسطين،، وإن الاسري الابطال في سجون الإحتلال هم خيرة أبناء الشعب الفلسطيني المناضلين، ونقول للاسير البطل نائل ولكل اسرانا الابطال صبرا فان فجر الحرية القادم، اوليس الصبح بقريب!.

نائل البرغوثي ملحمة القيد والحرية

■■ بقلم: الإعلامية وفاء بهاني

نقف اجلالاً واكباراً لأبطال ضحوا بأجمل سنين عمرهم، ليعيش باقي أفراد شعبهم كباقي الشعوب، الأسرى لا يمكن لأي كلام مهما عظم أن يوفيهم ولو جزء بسيط مما عانوه. هم من لوحت وجوههم شمس الصحاري في نفحة والنقب وعسقلان ومجدو وعوفر وتلموند وهداريم وهشارون، ومستشفى الرملة (المسلخ) عبر سنوات سجنهم الطويلة، كيف لا وهم الذين ضحوا بحريتهم لأجل حرية شعبهم، فتحولوا لشموع تنير طريق الحرية والاستقلال. زمانهم متخم بمفردات اعتادوا عليها وظلالها، يقظة ونوماً، صحواً وحلماً، حقيقة ووهماً، والمستقبل لا يعني عندهم إلا تاريخ الإفراج المتوقّع عنهم، أو موعد المحكمة المؤجل، أو "الدهر" الباقي من زمن المؤبّدات، والماضي بعضُ ذكريات سرقها على حين غفلةٍ من المحتل قبل أن توضع الأصفاد في يد الحبيب، أو يوصد باب زنزانته فيحال بينهما إلى أمدٍ بعيد. يجسد المكان هذه الظلال في شخوص يتحسّس ويشم آهاتها، أو قد يكون الحافلة التي تقلّه "للزيارة" الموعودة بعد سنين من المحاولات، أو الحاجز "المحسوم" الذي يُذلُّ عليه لساعات حتى يدخل أرضه وبيته، وقد يكون بيت ابنه الأسير أو سرير ابنته المعتقلة إدارياً، وقد يكون هو كلّ ما يراه حوله من "الوطن" الأسير خلف الجدار والمعابر والحواجز والجسور. فمنهم من زمن الأبيض والأسود، زمن الأصالة والنخوة والرجولة والصدق، الأسير نائل البرغوثي، هذا الرجل الذي قضى أكبر مدة أسر سياسي في العالم ، رجل تلونت حياته بألوان العذابات والشقاء بعدما اعتقلته قوات الاحتلال في أبريل/نيسان 1978 من منزله في قرية كوبر شمالي رام الله بالضفة الغربية، وهو بعمر 19 عاما، اتهمته إسرائيل بقتل أحد جنودها، وحكمت عليه بالسجن المؤبد، وهو في هذه الأيام يدخل عامه الأربعين في الأسر، وهو الآن في العقد السادس من عمره.

توفي والداه صالح وفرحة البرغوثي أثناء غيابه، وقبل وفاتهما زرعا شجرة ليمون لا تزال تحمل اسمه في حديقة المنزل منذ اعتقاله. وبرغم من إنه كان مرجعاً بالنسبة إلى الأسرى وكان يحاضر لهم، فقد أصرّ بعد الإفراج عنه عام 2011 على إكمال دراسته، فالتحق بجامعة القدس المفتوحة «تخصص التاريخ»، فكان لديه حلم بالحصول على شهادة من جامعة فلسطينية، خاصة أنه رفض أن يلتحق بجامعة عبرية. ذات يوم قال لزوجته الأسيرة المحررة ايمان نافع عبر سماعة الهاتف خلال زيارته في سجن بئر السبع "لكِ أن تتخيلي أنه من الممكن أن أكون شهيداً، ويمكن أن يُحتجز جثماني في الثلاجات، أمضيت 40 عاماً في سجون الاحتلال، اعتُقلت شاباً وخرجت أشيب، وعدت مرة أخرى، لا أعرف كم سيحتمل هذا الجسد، ولا متى ستشرق شمس الحرية مرة أخرى".

إيمان نافع زوجة البرغوثي، التي ارتبط بها بعد شهر واحد من الإفراج عنه عام 2011 ضمن «صفقة شاليط»، وأمضت برفقته 31 شهراً فقط، قبل أن يعتقله الاحتلال مجدداً عام 2014، ويعيد له حكمه السابق بالسجن المؤبد، هي الوحيدة التي يسمح لها بزيارته. وأيضاً قال لأخته حنان قبل أن تمنع من زيارته، وبغصة وحرقة وهو يحتضن ابنها " كل أطفال فلسطين هم أطفالي ".فرض الاحتلال على البرغوثي الإقامة الجبرية عقب الإفراج عنه عام 2011، ومنع من الخروج من مدينة رام الله وقراها، وخلال هذه الفترة ظل أسيراً داخل بلدته كوبر شمال شرق رام الله، وحرم من زيارة أي بلدة أو مدينة في الضفة. كانت بدايات العمل النضالي للأسير نائل البرغوثي عام 1967، رفع معظم الناس رايات بيضاء فوق منازلهم، إلا نائل رفض، وصعد إلى سطح منزله واستعد لرشق آليات الاحتلال بالحجارة عند مرورها، وعندما كبر نائل كان يذهب إلى مدرسته في بلدة بيرزيت المجاورة مشياً على الأقدام، يقطع وادي القرية ويجمع الحجارة الصلبة داخل حقيبته، حتى يرشق بها جنود لاحتلال، وكان يقول إن حجارة الوادي أقوى من أي حجارة أخرى، ولها صوت وتأثير أكبر. نائل كان شعلة من النضال، يقود التظاهرات ودائماً ما كان يكون في الصفوف الأولى في مواجهة الاحتلال، حتى أطلق عليه لقب «أبو اللهب»، نسبة إلى شخصيته القيادية الثورية، وفي الأسر أطلق عليه رفاقه لقب «أبو النور».اعتُقل نائل في المرة الأولى خلال إحدى المواجهات مع الاحتلال في الثامن عشر من ديسمبر عام 1977، وحُكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر، وعقب الإفراج عنه بـ 14 يوماً، اعتُقل بتهمة مقاومة الاحتلال برفقة رفيقه فخري البرغوثي، ليصدر بحقهما حكم بالمؤبد و18 عاماً. وخلال رحلة الاعتقال واجهت عائلة نائل صنوفاً من التنكيل الإسرائيلي، فقد اعتقل شقيقه عمر عدة مرات. وفي أواخر عام 2018 قتلت قوات الاحتلال نجل شقيقه صالح عمر البرغوثي، واعتقلت عاصم وهو شقيق الشهيد صالح، واعتقلت والدهم عمر البرغوثي، وأفراد عائلته، وهدمت منزلين للعائلة، ولاحقاً أفرجت عن عمر الذي بقي يكافح ويقود حراك التضامن للمطالبة بالإفراج عن شقيقه ونجله وباقي الأسرى. ولطالما كان يؤكد البرغوثي أن المخرج الأول لتحرير المعتقلين هي الوحدة الوطنية، معتبراً أن الوحدة هي المنطلق الأول لاستعادة الهوية الفلسطينية. كما وجه في وقت سابق رسالة في ذكرى ميلاده الـ(62)، قال فيها: "يوم ميلادي يذكرني بميلاد كل ثورة تطالب بالحرية، وأشعر كأني أولد من جديد".انطلاقاً من هذه القناعة العميقة بضرورة النضال الجاد القومي والدولي، من أجل حرية الأسرى كل الأسرى، لأن الأسر لم يعد يقتصر على أسيرات وأسرى الحرية فقط، بل إن الشعب الفلسطيني أصبح كله في الأسر والحصار الصهيوني، أليس ما يجري ضد شعبنا في القدس والضفة و قطاع غزة هو الأسر بعينه، بينما العالم كله، وبعض الأنظمة العربية معهم، الذين يستمرون بتطبيع علاقاتهم مع كيان الاحتلال، مازالوا ينظرون لهذه الجريمة النكراء بمشاعر متبلدة وعدالة غائبة، وكل هذا يشجع دولة الاحتلال والعدوان ومجتمعها العنصري أن يتمادوا في عدوانهم وعنصريتهم، مطمئنين لشرعية دولية غائبة لا تستطيع أن توقفهم أو تكبح جماحهم العنصري. فالحرب بيننا وبين العدو الصهيوني سجالٌ، وهذه محطات لا بد من أن يؤديها الشعب الفلسطيني ويدفع ثمنها دماءً غالية، ولكن بالنهاية النصر لهذا الشعب الصامد المرابط، ودولتهم باطلة وزائلة بإذن الله، وهذا قريب جداً، والدلائل كثيرة على زوال دولتهم الدخيلة على هذه المنطقة. هذه ليست معركة الأسرى وحدهم، بل هي معركة جميع أبناء الشعب الفلسطيني، فإما العيش سوياً وإما باطن الأرض أفضل من ظهرها، فالأسرى يشكلون نسبة ضئيلة جداً من عدد الشعب الفلسطيني، وإن تضامن 13 مليون فلسطيني حول العالم معهم، فبالتأكيد سيقلب شعبنا المعادلة بوجه كل هذا العالم الظالم. نائل البرغوثي رمز كبير من رموز الأسرى الفلسطينيين العظام، ضحى بحياته من أجل فلسطين وما زال يضحي، وكذا كل الأسرى في سجون الاحتلال، ولكن شمس الحرية ستبزغ يوماً، وسيتحرر نائل وجميع الأسرى، وسيعودون إلى قراهم وبلداتهم أعزةً أحراراً، وستحتفي بهم فلسطين كلها، وسيحتفل بحريتهم الشعب، وحينها سنفرح جميعاً بحرية فلسطين واستعادتها، وبطهارتها واستقلالها، وإننا جميعاً لعلى موعدٍ مع هذا الصباح الأبلج واليوم العظيم الأغر.

الوطن

يومية وطنية مستقلة

الأخيرة

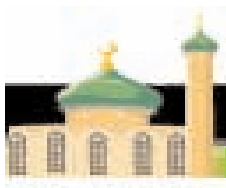

مواقيت الصلاة

الفجر ليوم غد 05-53 الظهر 12-32 العصر 15-21 المغرب 17-46 العشاء 19-06

الأربعاء 08 جويلية 2020 م الموافق لـ 16 ذو القعدة 1441 هـ

من ذاكرة الفرح

حبهما انتصر على السجن والسجان

هكذا احتفلت فلسطين بعرس الحرية لعميد الاسرى نائل والمحررة ايمان

■■ مهرجان وطني غنى المشاركون فيه لحرية الاسرى وفلسطين والوحدة

■■ تقرير:علي سمودي

«بالروح بالدم نفديك يا فلسطين " و«بالروح بالدم نفديك يا أسير "،هتافات الفرح التي رددتها مئات الحناجر وفي مقدمتها أسيرات واسري الحرية في سهرة وحفل زفاف عميد الاسرى نائل البرغوثي والمحررة إيمان نافع الذي تحول لمهرجان وطني وشعبي وحد كل أشكال الطيف الفلسطيني تحت راية علم فلسطين وأغنيات وأهازيج وحدت الدعاء لحرية الاسرى والوطن والوحدة الوطنية . وفي محطات العرس الأربعة ، في منزل عائلة العريس وديوانها في كوبر، وفي منزل العروس في نعلين ، وفي البيرة قاعة "عرس" الحرية ، وفي سجن عوفر حيث يقبع الشقيق الأكبر عمر رهن الاعتقال الإداري عمت أجواء الفرح على دوي اغنية " طلعنا وقهرنا السجان "، والتي أضاف إليها نائل وهو يستقبله رفاقه مازحا عبارة " أتجوزنا وقهرنا السجان.

■■ عرس الحرية الكبير

مساء اليوم الموعود ، ارتدت قرية كوبر مسقط رأس نائل حلة الفرح وأثواب النصر لتتوج فرحة عائلة البرغوثي وكل الشعب الفلسطيني بابنه البار الوفي الذي صمد 34 عاما في الأسر ، وأصرت ان تكرمه بعرس الحرية الكبير ، وعندما اطل نائل محمولا على الأكتاف

لجانبه رفيق دربه في النضال والقيد والحرية وابن عمه فخري ، وقف جمهور الحضور في قاعة الاحتفال يشاركون الفرق التي تداعت من كل أرجاء الوطن لتكريم نائل وإيمان الغناء والتصفيق والهتاف وتقديم التهاني ، وقال فخري " عرس نائل هو النصر الأول الذي نحققه كاسري ومقاومة وشعب على الاحتلال الذي صادر حياتنا ولكنه لم ينال من أحلامنا ، فقد تحطمت القيود والمعايير ، ورغم كل عذابات القيد والسجن ، نزف نائل وايمان كبشرى بانتظار الفرح الكبير والنصر المؤزر رغما عن انف الاحتلال.

■■ علم فلسطين

ومثلما شكل نائل وإيمان في تجربتهما الاعتقاليه عنوانا للصمود ومدرسة للنضال ورمزا للوحدة وصرخة انتصار كبرى لفلسطين ، فانه في يوم الفرح الذي تمناه طويلا ، أصرا على ان لا تعلو راية فوق راية فلسطين ، وعلى مدار ساعات الحفل رفع نائل علم وطنه الذي ضحى بكل شيء في سبيله ،فزرع الابتسامة والفرح على وجوه وقلوب الجميع وهو يشارك الجميع الغناء والدبكة رافعا علم فلسطين ، وقال لمراسلنا " فرحتي كبيرة لان الله حقق أمنيتي بفرحي أولا بالحرية وبارتباطي بإنسانة مؤمنة ومناضلة ووفيه وبإحياء عرسي تحت ظلال العلم الفلسطيني الذي يشكل عنوان وسر انتصارنا ، وطوال فترة اعتقالي لم اندم يوما ولم افقد الأمل وفي كثير من الأحيان كنت أتوقع ان أعود حاملا العلم او ملفوفا به "، وأضاف " شاء قضاء الله وقدره ان يكرمني بهذه الصفقة الرائعة لأزف حاملا العلم الذي سيبقى مرفوعا لأنه عنوان للنصر ودليل وحدتنا الوطنية التي نام لان تتحقق قريبا.

■■ رفاق الدرب

وتعبيرا عن الوفاء والحب والتلاحم ، تدفق المئات من المحررين والمحررات من كل محافظات الوطن من القدس حتى جنين وخاصة محرري صفقة "وفاء الأحرار" لمشاركة نائل وإيمان أجمل لحظات الفرح ،وبكت العيون وهي تشاهد نائل وفخري وسامر المحروم ومؤيد عبد الصمد ونزار التميمي وعامر القواسمي محمولين على الأكتاف تارة ، أيديهم متشابكة، ويرقصون ويعنون تارة أخرى وكل واحد منهم يقبل نائل وجبهته ، وقال المحروم من جنين " في عرس نائل وإيمان تحقق جزء كبير من الحلم الذي كنا نحمله أن نرى أسرانا عرسانا للوطن بالمعنى العام والخاص ، قبل شهر كنا في الأسر نخوض المعركة واليوم نزف عميدنا ورفيقة دربنا المحررة إيماننا عرسانا فهذا نصر وعرس للحرية ، وأضاف " مشاركتنا تأكيد على مواصلة مسيرتنا لنؤكد إصرارنا على حياة الحرية ، ونتمنى العمر المديد لنائل وإيمان لبناء أسرة فلسطينية استكمالا لما جسدته المناضلة الشهيدة أمنا فرحة والدة ابو النور ، ووالده أبو عمر لتكون بشرى لحرية كل أسرانا، ووسط أجواء الفرح، قال المحرر عبد الصمد من طولكرم " عرس نائل وإيمان تعبير عن التحدي والصمود والإرادة والأمل والانتصار ، انه خطوة أخرى تؤكد اننا في الطريق نحو الفرحة التي لن تكتمل حتى تحرير أخر أسير وأسيرة.

■■ اغاني الوحدة والنصر

ووسط اجواء الفرح ، كانت اغنيات الفرق المشاركة تعبر عن ضرورة اكمال الفرحة بتعزيز وحدة الصف وانهاء الانقسام ، فغنى الجميع بصوت واحد لفلسطين والشهداء والاسرى ووحدة الوطن ، لتتحول اللحظات لمهرجان وطني لم يعلو فيه سوى صوت الامل بقرب اجتماع الشمل وتحقيق المصالحة ، ووسط تلك الاجواء واصرار العريس نائل على الغناء للوطن والحرية ،عانقه المحرر القواسمي من الخليل وهو يقول " عرس نائل وإيمان جميع شمل كل الفلسطينيين من كافة القوى وتجسدت الوحدة في عرس فلسطيني، أكد أن الاسرى هم من يوحدون الشعب ، ونام لان تصل هذه اللوحة الوطنية الرائعة للقيادة بكل أطيافها في الاجتماع القادم بين الرئيس ابو مازن وخالد مشعل الذين استبقناهم في إعلان الوحدة في الأسر وفي عرس نائل "، وأضاف " بكيت ونائل يرسم فرحا حقيقيا في قلوبنا وهو يحمل علمنا الذي يؤكد للجميع ان الوطن وعلمه فوق كل القوى ،ومن الضروري ان تعمل على إنهاء الانقسام وإعلان وحدة حقيقية ليفرح شعبنا ويواصل معاركه الطويلة "

■■ يوم لكل فلسطين

ولم يغب عن فرح إيمان ونائل ، أبناء الشعب من الداخل والقدس ، فأصر قدري ابو واصل سكرتير جمعية أصدقاء المعتقل والسجين من الناصرة على الحضور ، وقال " هذا يوم فرح كبير لكل شعبنا ونحن على موعد لتكتمل فرحتنا الكبيرة بإطلاق سراح كل الأسيرات والأسرى ، وهذه المشاركة لوفود من الداخل تعبر عن فرحة شعبنا بأكمله بمانديلا العالم ابو النور الذي تبشرنا حريته وزفافه وإيمان بفجر الحرية القريب لشعبنا من الاحتلال ولاسرانا من سجون الظلم "، أما عائشة مصلوحي من القدس والتي تبنت نائل خلال اعتقاله وداومت على زيارته في سجون الاحتلال خاصة في مرحلة منع عائلته من زيارته ،فقالت " نائل ابن لكل الشعب الفلسطيني ، ربطتني به علاقة خاصة منذ عام 1983 ،واستمرت في زيارته كابني ، ويوم زفافه فرح ممزوج بالألم لغياب والدته التي تعتبر علما من أعلام فلسطين والتي طالما حدثتني عن حلمها الأكبر حرية نائل وفرحه ، من المؤلم ان تغيب عنا في أجمل لحظة لم نتوقف عن الصلاة لاجلها.

■■ صوت الاسرى

وفي كلمة وقصيدة وأغنية واهزوجة وموال ، كان الاسرى الأكثر حضوراً في حفل نائل وإيمان ، فقد تفننت الفرق المشاركة والشعراء والزجالين الشعبين من كافة المحافظات في أغنياتهم التي مجدوا فيها الاسرى ووجهوا فيها التحية لصمودهم وبطولاتهم ، وقال الفنان الشعبي موسى حافظ " ان كوكبة الشعراء التي حضرت من جنين وحتى رام الله ، عبرت عن فرحة كل الشعب بالقائد الكبير نائل الذي حرص على ايلاء قضية الاسرى اهتماما اكبر في أغنيات عرسه الذي نعتبره نصر وفرح لكل الشعب الفلسطيني ورسالة عهد ووفاء لمن تبقوا بالاسر ودعوات أمل لان الفرحة لن تكتمل دون حريتهم "، وخلال الحفل تليت عشرات رسائل وبرقيات التهنئة الخاصة لنائل وايمان من كل قلاع الاسرى ، وبرز منها برقيات القادة مروان البرغوثي وعبد الله البرغوثي وجمال ابو الهيجاء واحمد سعدات وغيرهم ، في وقت بكى فيه نائل وهو يقول " ستبقى كل حياتنا بلا فرح حقيقي حتى نحتفل بتحريرهم ، في كل لحظة نتذكرهم ومن عرسي أصلي لله ان يكرمهم بالحرية والعودة ، فلم

ولن نساهم ولن نفرح حتى إغلاق كل السجون.

■■ أبناء الاسرى

ولكن حتى الاسرى في سجون الاحتلال شاركوا نائل وإيمان الفرحة ، بانتداب أسرهم وزوجاتهم وأبناءهم لتهنئة العروسين ، وخلال الحفل كان يمسك نائل بطفلين ويصر على حملهما والاهتمام بهما ، وسرعان ما تبين ان الأول هو حمزة نجل الأسير مغير حماد من سلواد المحكوم بالسجن المؤبد 7 مرات ، وقال الطفل الذي يبلغ عشر سنوات " انا سعيد جدا لانني حضرت مع والدتي وأشقائي لنشارك عمي نائل الفرح نيابة عن ابي القابع بئر السبع والذي كلفني بتقديم هدية العرس نيابة عنه لرفيق دربه الذي نعتز به فهو بطل "، وعانق الطفل مجاهد (10 سنوات) وشقيقته تسنيم (7 سنوات) وهما من الخليل نائل وقدما له نقوط العرس ، وقال مجاهد " عرفت عمي نائل من خلال حديث ابي الأسير هاني ابو السباع عن بطولاته التي تشرفنا ، وأرسلني مع امي ووالدتي لنقل تهانيه وأمنياته واشعر بفخر واعتزاز رغم حزني لغياب أبي ، ولكنني سعيد بهذا اليوم مع كل أطفال شعبي لعرس عميد الاسرى "، وبكت شقيقته وهي تعانق نائل وقالت " تذكرت ا ن ابي معتقل وحزنت كثيرا لانني كنت أتمنى ان ناتي معه لنفرح بعرس عمي نائل البطل الكبير الذي نعتبره قدوة لنا.

■■ ذكريات وأمنيات

ووسط المحتفين ، وأغنيات للشهداء وفي مقدمتهم الرئيس الراحل ابو عمار والشيخ احمد ياسين ، وللجرحى والأرض والقدس والعودة والوحدة والغربة ، وقف الحاج التسعيني معين البرغوثي عم نائل يتوكا على عكازته دون ان يتوقف عن التحديق بنائل ، وقال " اشعر بالحزن والفرح ، لانني أتذكر أخي الغالي ابو عمر والده نائل ووالدته اللذان رحلا وهما يتمنيان هذه اللحظة ، وقلبي يكاد يطير من الفرح لان نائل أصبح عريس أخيرا "، وأضاف " كنت أتمنى ان يكون ابني رفيق نائل ، جاسر الذي تحرر وابعد لغزة بيننا ليكون فرحنا كبيرا ، فإبعاده ينغص فرحتنا ،اما عاصف ابن شقيقه الأسير عمر ، والذي لم يتوقف عن حمل عمه نائل تارة وفخري أخرى على كتفيه ،فقد ارتسمت معالم السعادة على وجهه وقاوم حزنه رغم انه أصيب بحادث سير ليلة حفل عمه نائل ، وقال " عندما اعتقل ابي وعمي لاول مرة كان عمري 6 شهور ، وطوال عمري وانا ادعوا مع جدتي لحريتهما لتفرح وخاصة بنائل ، ولكن فرحتي الكبيرة اليوم لان الأمنية التي لم أتوقعها مع توالي الصفقات والافراجات وشطب اسم عمي من كل الصفقات والافراجات أصبحت حقيقة "، وأضاف " اليوم نفرح ونغنى انا وطفلي عمر الذي ولد ونائل في السجن في عرسه، لكن في القلب غصة لغياب ابي وهو اكبر أبناء العائلة، فهو معتقل إداريا ،ويوم تحرير عمي سلموه 6 شهور أخرى ، فاعتقاله في فرحنا يؤلمنا وهو يتابع العرس في سجنه ، وأقام عرسا على طريقة الاسرى للفرح بشقيقه في سجنه عوفر.

■■ بكاء نائل

في ليلة عرسه ، ورغم صلابته وقوة شخصيته وعزيمته ، فان نائل الذي يمتلك قلبا حنونا ومشاعر جياشه بكى مرات عديدة رغم حرص الجميع على فرحه ، ففوجيء العريس عندما أدى قائد الفرقة الفنية أهازيج وأغنيات امه الخاصة التي الفتها وكانت ترددها لنائل ، فلم يحتمل وبكى ، ولدى مغادرة العائلة والمحبين منزله نحو قاعة الفرح وقف قبالة ضريحي والديه وبكي ،وعندما سلمته شقيقته حنان وزوجة شقيقه ام عاصف هدية ونقوط والدته الراحلة لعروسته إيمان ذرف دموع الذكرى والألم. أما اللحظة الأكثر تأثرا والتي كادت تدفعه لتأجيل الحفل رغم اكتماله ، فكانت عقب انتهاء سهرته منتصف الليل وقع حادث سير مع ابن شقيقه عاصف وهو في طريق العودة للمنزل برفقته زوجته وزوجة الأسير مغير حماد ، وفور سماعه الخبر غادر نائل منزله سريعا وشارك في إسعافهم ونقلهم للمستشفى وسط حزنه وألمه ودعواته ، وفي لحظة انتظار النتائج أعلن انه لن يكون فرح حتى ضمان سلامتهم ، وارتسم الحزن والألم على محياه خوفا على مصيرهم ورفض نائل وعروسه إيمان التي حضرت مسرعة للمستشفى ان يعودا لمنزلهما وقضى ليلتهما حتى التاسعة من صباح يوم عرسهما في المستشفى حيث تمسك بموقفه وتأثره خاصة على الضيفة زوجة رفيق دربه الأسير حماد والتي قدمت مع أبنائها من سلواد لمشاركة العروسين الفرح فأصيبت بالحادث ولم تشارك في الفرح ولكنها رفضت تأجيله بسبب إصابتها وتمنت على نائل إكماله.

■■ آخر خطوات العروس

لحظات قاسية عاشتها إيمان ونائل حتى تحقق لهما الاطمئنان على صحة وسلامه المصابين ، فاستكملت إجراءات الفرح ، لكن إيمان لم تبدأ تحضيراتها حتى أنهت كافة المهام المناطة بها في نادي الأسير ، فالعروس تنشغل قبل زفافها بيوم بتجهيزاتها ، لكن إيمان توجهت لنادي الأسير وأنجزت ما تبقى من ملفات لاهالي الاسرى الذين كرست حياتها لهم ، وواصلت زيارة بعض ذويهم ودعوتهم لفرحها ثم كانت محطتها الأخيرة قبل مغادرة رام الله لمنزل عائلتها في نعلين زيارة ضريح الرئيس الشهيد ابو عمار وتلاوة الفاتحة على روحه، وهي تتمنى أن يكون حاضرا يشاركها الفرحة لما ارتبطت به من علاقة وطيدة بعد تحررها . وشاركت حرائر فلسطين من كل أرجاء الوطن في حفل زفاف إيمان التي قالت وهي تغادر منزلها "فرحتي كبيرة لان خروجي من منزل ابي الى نائل ، هو فرحي بان أكون مع نائل في اي مكان يكون فيه ، وسيكون ذلك المكان جميل لأنه يجسد معنى الإخلاص وارتباطنا معا يؤكد صدق نائل الذي اعتبره الرجل الذي يمثل طموحي والذي بدا ارتباطي به بكلمه من السجن قبل 7 سنوات وصلت مع والده لي وطلبني"، وأضافت " لم نلتقي قبل تحرره ولكننا عرفنا بعضنا جيدا من خلال مسيرة النضال والرسائل ورسمت له أعظم صورة وانتظرت و منحته فرصة حتى ينال التحرر ويكون اختياره رغم انه كان انسان حر ليكون لديه فرص اختيار على ارض الواقع وفرحت كثيرا عندما لم يتردد وشاهدت نائل نفسه داخل وخارج والمعتقل هو الإنسان صاحب الموقف والكلمة الصادق لا يتغير بتغير الظروف وينفذ اي قرار يتخذه عن دراسة.

■■ يوم العرس

وسط طقوس فلسطينية ، والزفة الشعبية بمشاركة ممثلي الفعاليات والفصائل والقوى ووزير الاسرى والمحررين وطاقم الوزارة وأسرة نادي الأسير يتقدمهم الأسيرات والأسرى المحررين استقبل نائل وإيمان في قاعة سليم أفندي في البيرة ، وهناك تعالت الأهازيج وانتصبت زوجة شقيقه الأسير ام عاصف وشقيقته حنان لتسلم نائل هدية والدته الراحلة لعرسه ، وقالت وهي تبكي وتعانقهما " انتصرت امي رغم رحيلها وتحقق حلمها الذي بشرتنا به ، فرحتنا لن توصف لان نائل عريس فلسطين كلها "،أما عاصف فقالت "احمل هديتين الأول من حماتي ام نائل والثاني من زوجي الأسير عمر لنقول لنا أن فرحه أعاد لنا الحياة والأمل ". وقالت المحررة عطاف عليان " اليوم نسطر صفحة بطولة أخرى تؤكد ان فجر فلسطين قادم ولن يطول "، أما المحرر نزار التميمي خطيب المحررة أحلام التي أبعدت للأردن لمنعهما من إتمام الزفاف فقال " في عرس إيمان ونائل أرى الفرح قريبا وبشرى اكتمال حلمي انا وأحلام ، فرقنا الاحتلال ولكن فرحنا سيكون في الوطن قريبا "، وقالت المحررة قاهرة السعدي " بزفافهما نقول انتصرنا على السجان الذي رفض حرية نائل لسنوات واليوم تتجسد صورة الحب والوفاء والإرادة والأمل بأجمل صورها عنوانا لنصر مستمر لشعبنا ".وقال الوزير عيسى قراقع " هذه مفخرة لشعبنا الذي يرفض الاستسلام ، رغم كل القهر تكتمل لوحة الفرح بعنوان أخر لبطولة لن تنتهي رغم عذابات السجون "، وقال المحرر سعيد العتبة " كل فلسطين فرحة لنائل وإيمان ".وفي طريقهما للقفص الذهبي ،قال نائل " قلبي يدعوا لكل أسير بفرحة الحرية ولن اشعر بفرح ما دام اسري "، أما إيمان فقالت " لحظة بلحظة أتذكر الأسيرات والأسرى وصلاتي لله أن يكمل فرحتنا بحريتهم.